الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كلية الادب العربي والفنون
قسم ادب عربي

أدب الرحلات ودوره في المثاقفة بين الشعوب، الساق على الساق للشدياق نموذجا

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في
تخصص: أدب مقارن وعالمي

اعداد الطالب (ة):
1. فرعة عزيزة
2. بلالة زكية

اشراف الأستاذ (ة)
حنيفي بن ناصر

السنة الجامعية: 2021 - 2022

بسم الله الرحمان الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا"

صدق الله العظيم

سورة الاسراء، الآية 80

خطة البحث

- **المدخل**
- **المقدمة**
- **الفصل الأول: أدب الرحلات عند العرب**

المبحث الأول: نشأة الرحلة وتطورها

المبحث الثاني: ادب الرحلة في العالم

المبحث الثالث: ادب الرحلة عند العرب

- **الفصل الثاني: المثاقفة**

المبحث الأول: المثاقفة مفهوم وتعريف

المبحث الثاني: المثاقفة اشكال وأنواع

المبحث الثالث: المثاقفة قوات واليات

- **الفصل الثالث: نبذة عن احمد فارس الشدياق**

المبحث الأول: احمد فارس الشدياق

- اسمه، نسبه، وفاته
- رحلاته ومؤلفاته
- البيئة العائلية وحياته العلمية

المبحث الثاني: احمد فاري الشدياق بين الثقافتين العربية والغربية

- ثقافة في لبنان
- ثقافة في مصر
- ثقافة في اوروبا

- **الفصل الرابع: الاجناس الأدبية في كتاب الساق على الساق للشدياق**

المبحث الأول

1. ادب الرحلة في كتاب الساق على الساق
2. أدبية رحلات الشدياق ومكوناتها البنائية التجنيسية

3. متن رحلات الشدياق

المبحث الثاني

1. خصائص ادب الرحلة واسلوبها في الكتاب
2. قصة ادب الرحلة في كتابه
3. الشدياق وتأثره بالرحالة العرب

- **خاتمة**

شكر وتقدير

الحمد لله واهب النعم. والشكر له كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، عدد خلقه ورضا لنفسه وزنه عرشه ومداد كلماته على ان من على بإنجاز هذه المذكرة، والصلاة والسلام على أفضل الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

نتقدم بالشكر والتقدير الى استاذنا المشرف "**حنيفي بن ناصر**" ادام الله في عمره.

نتقدم له الشكر الجزيل على اشرافه واخراجه في هذه الصورة وعلى نصائحه وتوجيهاته.

نتقدم بالشكر الى زملائنا ونشكرهم على تواصلهم وتفانيهم في المساعدة ولو بكلمة طيبة والى كل القائمين على الكلية وخاصة عمال المكتبة.

الى كل هؤلاء نتقدم شكرنا وتقديرنا.

الاهداء

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى من قال فيهما الله سبحانه وتعالى: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

سورة الاسراء الآية 24

أمي ابي

حفظكما الله ورعاهما وارضاهما عني فهما معين الحنان ومصدر الدعاء.

الى كل أفراد الأسرة الكريمة والى رفيقة المشوار التي أنجزت معها هذه المذكرة

الى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث.

أهدي هذا العمل.

فرعة عزيزة

الاهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى واهله ومن وفى أما بعد
الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وادامهما نورا لدربي

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني من إخوة وأخوات، إلى رفيقة المشوار التي أنجزت معها هذه المذكرة، وإلى الأستاذ المشرف والاستاذ "**قرين كمال**" الذي ساعدنا في انجازها وإلى كل من كان لهما أثر

بلالة زكية

مدخل

مدخل

خلق الانسان ومعه غريزة حب الاستطلاع والترحال واكتشاف ما يحيط به من أسرار قصد التعرف والتحكم في الوسط الذي يعيش فيه، ومن ثمة تعلوه روح الفضول الى تجاوز القصة التي الفها وعاش فيها الى بقعة اخرى لتجديد حياته والبحث عن متطلباته واكمال نقائصه، والتعرف على اناس جدد ومحيط يوفر له الراحة والرفاهية.

فحياة الانسان رحلة منذ نشأة البشرية ورثها عن ابيه ادم عليه السلام عندما حط هذا الاخر قدميه على سطح الارض. وانتشر فيها باحثا مستطلعا ما حوله مدونا بذلك اول رحلة في الحياة الادمية[1].

لعبت الرحلة دورا هاما واصيلا في تطور الفكري والحضاري للأمم، وتطور معارف وخيرات الحضارات الانسانية على امد العصور، وكانت تلك الرحلات الى الارض الخفية فعدم رغبة الانسان بالاستقرار دفعه الى الترحال والاكتشاف في الارض المعيشة صارت الرحلة الفردية وصارت اهدافها، لتعرف على الافاق البعيدة.

وتجد في التراث العربي القديم وبالتحديد في الجاهلية قبل ظهور الاسلام. ان العرب قديما كانت تقوم برحلات منظمة بهدف التجارة وهما رحلتان اساسيتان الاولى شتاءا والثانية صيفا، وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم قال الله تعالى: " **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**"[2].

---

[1] حسني محمود: أدب الرحلة عند العرب، رحلات امين الريحاني نموذجا. الوكالة العربية للنشر والتوزيع 1995 ص1.

[2] سورة قريش الآية 1-2.

ومن المعروف ان المسلمين اغتنموا الرحلات وعلم الجغرافيا عناية شديدة، فانتشرت حركة الرحلات في البلاد العربية واتسع نطاقها بسبب التجارة و أداء فريضة الحج ثم شيئا فشيئا مال بعضهم الى المغامرة وذكر العجائب والآثار، ومن الرحالين العرب المشهورين ابن خرداذبة واليعقوبي وقدامة والبلحتي وابن حوقل في القرن العاشر يجوبون الافاق في خدمة الحكام و في سبيل ادارة البلاد، واذا ياقوت الرومي في القرن الثالث عشر يضرب في الاقطار لأجل التجارة و بدون معلوماته في "معجم البلدان"، و اذا المسعودي في القرن العاشر يواجه الاخطار في سبيل العلم و الاكتشاف، وإذا أبو الريحان محمد البيروني و أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر يقوم برحلتين يجوب المشرق والغرب ويضع كتابه "المسالك و الممالك"، وإذا ابن جنيد في القرن الثاني عشر يقوم لرحلتين واسعتين أضف إلى ذلك أشهر رحلة في العالم العربي وهي رحلة ابن بطوطة[1].

الرحلة أنواع تختلف باختلاف الدواعي والأسباب، فالرحلة التي يدونها الرحالة بعد رجوعه قضاء فريضة الحج تسمى حجازية وبالنسبة للمغاربة فان ذلك معناه وصف البلاد الجزائرية والتونسية والطرابلسية والمصرية[2]. أما إن كانت الغاية من الرحلة السياحة من أجل الوقوف على المناظر الطبيعية والمشاهد الأثرية والاطلاع على عادات وتقاليد الناس فتدعى رحلة سياحية، وقد تكون الغاية من الرحلة التعلم والدراسة مع ذكر البلاء التي اقام فيها الرحالة فتسمى بالرحلة العلمية.

---

[1] حنا الفاخوري: الموجز في الادب العربي وتاريخه – الادب في الاندلس والمغرب ج/3 دار الجيل بيروت ط/1 1ص325.

[2] محمد الفاسي: دراسات مغربية من وحي البيئة. مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء. ط/2.1995– ص68.69.

فالرحالة مصدر ثري تستقى منه مختلف العلوم باعتبارها شريط تسجيلي وثائقي حقيقي مختلف مظاهر الحياة فالرحالة وهو يجوب الارض يسجل ملاحظاته لمختلف مظاهر الحياة التي يشاهدها أو يسمع عنها وينقلها في رحلته ولا شك أن الرحاليين يختلفون في ملاحظاتهم وتصويرهم للأماكن والمشاهد كما يختلفون في صدقهم وأمانتهم في نقل مشاهداتهم وأخبارهم.

ويتطرق الحالة في رحلته الى عرض كل جوانب الحياة من عادات وتقاليد وغرائب شاهدها، وهي تعتبر بذلك مادة دسمة وثمينة لكل مؤرخ وجغرافي وعالم الاقتصاد والاجتماعية للرحالة المؤلف ما بين اديب ومؤرخ وجغرافي وسائح وسفير وغيرها من الصفات التي تطبع هوية وبالتالي النص الرحلي، ما جعل هذا الاخير يحوز على مكانة مميزة ومختلفة عن بقية الأنواع الأدبية الاخرى.

مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا

1.لغة

والرحالة نحوه كل ذلك من مراكيب النساء وأنكر الأزهري ذلك، قال الرحل في كلام العرب على وجوه قال: سمر قال: أبو عبيدة الرحل بجميع ربضه وحقبه وجلسة وجميع اغراضه قال: ويقولون أيضا الأعواد الرحل بغير رحل اداة رحل وانشد.

كان رجلين وأداة رحلي ... على حساب كأتان الضحل[1].

رحل: الرحل: مركب للبعير والناقة وهو من مراكب الرجال دون النساء

الرجل: منزل الرجل ومسكنه وبيته. الرحالة السرج رحله رحله شد عليه أداته. ارتحله: جعل عليه الرحل. رحلت البعير أرحلة: علوته رحل الرجل: سار الرحالة من الإبل: البعير القوي على الاسفار والاعمال. الرحالة عند العرب اكل البعير

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور لسان العرب دار النور – سنة 1431هـ 2010م جزء الثالث عشر ص 291.

نجيب سواء كان ذكر او انثى. المرحل: ضرب من برود اليمن عليه تصاوير رحل مرط مرحل ازارخر فيه علم رحل كل المكان استقرار الرحيل اسم ارتحال القوم الامير وقيل: القوي على الارتجال والسير المرتحل: نقيض المحل الرحال: الدور والمساكن والمنازل. رجل رحال: عالم بذلك مجيد له. الرحلة القوة والجودة. رحلت فلانا، عاونته على رحلته. أرحلته، اعطته رحلة. الرحلة: السفرة الواحدة. المرتحل، اسم الموضع الذي يحل فيه. الترحل: ارتحال في مهله[1].

رحل: الرحل مركب للبعير والناقة وجمعه أرحل ورحال قال طرفة:

جازت البيد إلى أرحلنا *** آخر الليل بحضور خدر.

"رحل" عن المكان – رحلا، ورحيلا، وترحالا، ورحلة: سار ومضى والبعير رحلا، ورحلة: جعل عليه الرحل، فهو مرحول ورحيل، وعلاه وركبه، ويقال رحل فلان بمكروه. ورحله بسيفه: علاه به وفي الحديث: "لتكفن عن شتمه او لارحلنك بسيفي"، ودله نفسه: صبر على اذاه.

أرحل، فلان: كثرت رواحله، افهو مرحل.

الرحال: العرب الرحال: الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبث المرعى.

الرحالة: الكثير الرحلة] والتاء المبالغة]

الرحل: العرب الرحل: الرحال

الرحل: ما يوضع على ضهر البعير للركوب، وكل شى يعد للرحيل من وعاء المتاع وغيره، ومسكن الإنسان، وما يستصحبه من الاثاث.

الرحلة: الارتحال (ج) رحل

الرحلة: ما يرتحل اليه، يقال الكعبة رحلة المسلمين.

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور لسان العرب دار النور – سنة 1431هـ 2010م جزء الثالث عشر ص 291.

الرحول: كثير الارتحال.

الرحيل: الارتحال والقوي على الارتحال والسير[1].

2. اصطلاحا:

الرحلة بدأت مع سيدنا آدم عليه السلام فيقال انه بعد نزوله من الجنة في الهند ارتحل إلى الجزيرة العربية بحثا عن أمنا حواء ومن ذلك الوقت والانسان يرتحل من مكان لأخر لأسباب تعددت فإما من أجل البحث عن الطعام أو الهروب من خطر ما ولطلب الامن إلى غير ذلك من الأسباب التي ادت بالإنسان بالارتحال من مكان لأخر، والرحلة لها عدة تعاريف الا انها تصب كلها في مفهوم واحد فالإمام الغزالي عرفها: "بانها نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشرقة واخطار وهي وسيلة إلى الخلاص عن مهروب أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب"[2].

ويقول فؤاد قنديل في كتابه عن الرحلة: "والحق أن الانسان مند ان يولد حتى يموت في رحلات دائمة، تعددت أشكالها بمرور الايام وتتغير الظروف والاحوال، بل ان لحظات ميلاده تعد رحلة من رحم الام إلى الدنيا ... وهناك رحلات داخل الوطن ...، ورحلات من داخل الوطن إلى خارجها وتتسع مساحة الحركة وتمتد الرحلة لتصبح من الأرض إلى القمر والكواكب[3].

مفهوم أدب الرحلة:

1. لغة:

---

[1] مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية 1425هـ – 2004م –ط4. ص 334 وص 335.

[2] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي – احياء علوم الدين – ج 2. دار الكتب العربية ... د ط د ت، ص 217.

[3] فؤاد قنديل – أدب الرحلة في التراث العربي – مكتبة الدار العربية الكتب ط 2.2002. ص 17.

ورد لفظ الرحلة في عدة معاجم وقواميس، وعموما يجمع الكل في نفس المدلول.

جاء في مقاييس اللغة مادة "ر ح ل" الراء والحاء واللام اصل واحد يدل على مضي في سفر ..."[1].

فنقول "ارتحل القوم عن المكان ارتحالا. ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رحل: انتقل ...، والترحل والارتحال: الانتقال وهو الرحلة والرحلة"[2]، كما نلاحظ "الاسم الرحلة بالضم والكسر يقال أنه لذو رحلة إلى الملوك ورحلة حكاه "اللحياني" اي ارتحال او الرحلة بالكسر الارتحال للمسير يقال دنت رحلتنا، ومنه قوله تعالى "**رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**"[3] او بالضم الوجه التي تقصده و تريده و تأخذ فيه"[4] وعليه فان الرحلة تعني السفر والرحلة الوجهة.

ومن قبيل ذلك "أرحل فلان: كثرت رواحله وهو مرحل ... والرحال، العرب الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى"[5] أي أنها تفيض الاستقرار والثبات.

وبذلك يكون: "رحلة [مفرد]:ج رحلات (لغير المصدر)، و رحلات (لغير المصدر)، ورحل (لغير المصدر)، رجال [مفرد]، ج رحال، ورحالة، ورحل، ورحالون: صيغة مبالغة من رحل"[1].

---

[1] ابن فارس معجم مقابيس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون ج2، ط1 دار الجيل، بيروت سنة 1411هـ-1911م – ص 498.

[2] ابن منظور، لسان العرب – مج11 – دار بيروت للطباعة والنشر بيروت د.ت. ص 279.

[3] سورة قريش: 2

[4] الزبيدي انتاج العروس، ج7 دار صادر بيروت د.ت ص 341.

[5] ابراهيم مصطفي وآخرون، المعجم الوسيط. تحقيق مجمع اللغة العربية، ج2، دار الدعوة د.ت. ص 334-335.

ومما سبق بيانه من المفهوم اللغوي يتجلى لنا ان مفهوم الرحلة يحيل في اللغة العربية على معنى السفر، والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر اليه.

2. **اصطلاحا:**

يعد أدب الرحلة أقدم الفنون الادبية التي ازدهرت مع مرور الزمن، وتطورت بتطور الثقافات، والحضارات، فأدب الرحلات littérature de voyages هو: "مجموعة الآثار الأدبة تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك واخلاق لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، او يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[2] و حسب تعريف "**مجدي وهيبة**" و "**كامل المهندس**" فان الرحلة تتضمن السرد أو وصف مجرد للعادات و والسلوك و الاخلاق، وقد يجتزه الرحالة واحدة يسلط عليها الضوء.

وعليه فأدب الرحلة أدب يقوم على السرد القصصي يضمنه الكاتب الرحالة مشاهداته وانطباعاته في البلاد التي يزورها وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية، أو نبذا عن التاريخ أو عادات الناس وتقاليدهم وانماط عيشهم وتفكيرهم، وهذه الأمور تكون في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا هاما. وموضوعا للدراسات المقارنة في مختلف المجالات الفكرية الادبية الحياتية. ومن شروط أدب الرحلات دقة الملاحظة، وتحري الحقيقة. وسهولة الرواية، وحسن التصرف[3] وهي من الصفات التي تجب أن تتوفر في الرحالة.

---

[1] احمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة مج 1- ط1، عالم الكتب القاهرة سنة 1429هـ- 2008م ص 871.

[2] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2 مكتبة لبنان بيروت سنة 1984م ص 17.

[3] فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة. إشراف اميل يعقوب، ط 1، دار الجيل بيروت سنة 1420هـ،1999 م. ص197.

من أجل ذلك "يقتضي التأليف فيها ثقافة واسعة ودقة الملاحظة، والالتقاط الملامح المعربة، ومشاركة عدد كبير من المعارف لاحتواء الرحلة على معارف و علوم متعلقة بالتاريخ، و الجغرافيا والفلسفة، والاجتماع، والأدب وتفرض الاناقة في تخير المفردات، وصياغة العبارات، وتنسيق الفصول"[1] ما يميز الرحلة الادبية عن غيرها اعتناؤها بالأسلوب الذي يكتب بها أولا ثم بالمعلومات التي تتضمنها.

فنظرا لمتطلبات كتابة فن الرحلة كانت الحد الفاصل في تبيان اهميتها عن باقي الفنون الادبية الأخرى "ولا تبالغ إذا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي لسبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اهتم بها هذا الادب. و نقصد تهمة قصور في القصة"[2] فاقترنت الرحلة مع القصة والمسرحية في قالب الحكي، واشتملت على عناصر الخطاب القصصي، من أحداث وشخصيات و اطار زمني و مكاني.

ومن هذا المنطلق برزت اشكالية التجنيس في هذا الادب حيث يقول "**كراتشكوفسنكي**" "آثار هذا الادب اهتماما بالغا سبب تنوعه، وغني مادته، فهو تارة علمي، وتارة شعبي وهو طور واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة، لذا فهو يقدم لنا ماده دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب"[3] الذين تميزوا عن غيرهم، بكثرة تأليفهم في هذا الأدب الشاسع الذي استوفي اغلب تطلعاتهم واهتماماتهم.

---

[1] جبورعبد النور، المعجم الادبي، ط1 دار العلم الملايين بيروت سنة 1979 ص 122.

[2] شوقي ضيف، الرحلات ط 4، دار المعارف القاهرة دت ص 8.

[3] اغنا طيوس پوليا توقش كراتشكو منكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة 1963، ص24.

خلاصة القول إن الرحلة هي دليل القارئ في متاهات المجهول من البلدان والاجناس يرافقه خطوة خطوة، ويأخذ بيده برفق. ليصل به الى الغاية الكبرى المتمثلة في الكشف عن كل ما يحيط به من ظروف وحيوات كل كافة الاصعدة.

أنواع الرحلات:

يمكن تقسيم الرحلات إلى قسمين: رحلات واقعية ورحلات خيالية.

أ. رحلات واقعية:

وهي رحلات فعلية قام بها الرحالة لغرض من الأغراض، وهي ذات قيمة عظيمة لما تسجله من حقائق في الجوانب التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والجغرافية، ومن أشهر الرحلات الفعلية الرحلة إلى الحج. كانت إحدى أهم الرحلات التي تقوم بوازع ديني، فالحج كما نعرف فريضة واجبة، كما يستغرق من الشهور إلى السنين إلى السنوات قديما لبعد المسافات كانت تجمع بين الوازع الديني الروحي والمعرفي وقديري البعض أن العنصرين – الدين والمعرفي – لا يلتقيان. غير أن الرحلات القديمة في عالمنا في الشرق كانت تشير إلى نجاح هذه الرحلة، والشائع في بلاد المغرب للرحلة هو ذلك الذي تكون له دوافع روحية ويستهدف زيادة الاماكن المقدسة لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم ورواية الحديث ومثل هذه الرحلة يرتبط ثلاثة مشاهد اساسية، فالأول مشهد الخروج حيث يكون الخارج ضمن ركب منظم يرأسه شخص عارف الطريق، يوصف عادة بالتقوى والأمانة والحنكة وحسم الأمور ويأتي ذلك مشهد المسير ثم مشهد الوصول ولكل المشاهد طقوسه ومدوناته وأحداثه وأدبيته، ومن أشهر هذا النوع من الرحلات، رحلة ابن فضلان، رحلة ابن بطوطة، رحلة ابن جبير الغرناطي وابن رشيد العبدري.

ب. رحلات خيالية:

"وقد تظهر أبرزها في تلك الرحلات الباطنية التي يقوم بها المتصوفة وتتطلب تجربة معيشية على المستوى الواقعي وأخرى ذهنية للعالم متخيل يجنح إلى صوغ أفكار وتأملات معينة تتماشى مع المقولات والتطورات الصوفية والفلسفية والدينية التي ترسم رحلة النفس في بعثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع وصولا إلى المطلق واليقين" ومن أشهر الرحلات المتخيلة، رحلة ابن شهيد "الزوابع والتوابع" ورحلة المعري رسالة الغفران" ورحلة ابن طفيل "حي بن يقظان" وروبنسون كروزو "لدنيال ديغو" ورحلة جالغير "لجوناتان سويفت" و"منطق الطير" لفريد الدين العطار و"رحلة الخلود" لمحمد إقبال.

"وقد يكون الدافع للرحلة مزدوج الأغراض بحيث أن الرحلة الذي تؤهله مواهبه" العلمية وتتمكن فيه غريزة حب الاطلاع يقصد لتسجيل معلومات عن البلاد التي يزورها[1].

اهمية الرحلات:

ادت الرحلة دورا كبيرا ومهما في تنمية المجتمع العربي وتطوره من معظم النواحي، وفي أغلب المجالات خاصة منها العلمية والأدبية فاذا تصفحنا اثار الرحلة العربية نجدها ذات قيمتين بارزين وأساسيتين، أولها قيمة علمية، وثانيهما قيمة أدبية.

فأما القيمة العلمية: فهي "تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على كثير من المعرف والمدونات التي تمت إلى الجغرافية والتاريخ بأوثق الصلات" ذلك أن الرحالة عندما يتجول في الأصقاع والبقاع فانه يكتب ما يشاهده ومعاينه مرة مستغربا، ومرة معجبا لأن حياة البشرية وما يحيط بها من ظروف تختلف من

[1] مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، د.نواف أبوساري، أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات، جامعة قسنطينة، سنة 2011، ص 14-15.

منطقة إلى أخرى ثم يقدم "صورا وتقاريرا وافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للعرب ومن جاورها من شعوب آسيا وإفريقيا وشطر من أمم أروبا" فيستغل الرحالة رحلته تلك لذكر كل التفاصيل عن البلاد التي يزورها فيجمع مادة أثنوجرافية غنية "مما لا تزال تعتبر حق اليوم مرجعا أساسيا في دراسة وصف بعض البلدان الجغرافي والعمراني والاجتماعي والاقتصادي" ولا يفوت الرحالة ذكر للمعالم الأثرية، ووصف الممالك والمسالك و الاصقاع و الأقطار ودرس العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية وغيرها مما يكتبه الرحالة ويدونه تدوين المشاهد المتأمل في غالب الأحيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة و بالناس و حياتهم، و ما ينقله الرحالة يعتبر مادة علمية هامة يعود اليها الجغرافيون و المؤرخون و علماء الاجتماع و الاقتصاد و الآداب، "فمنهم من غلب على كتاباته الطابع الديني، و منهم من تحدث عن المدن و وصف المسالك و الممالك، و لكن اعمالهم جميعا اصبحت لا غنى عنها للمؤرخين والجغرافيين والادباء وعلماء الاجتماع".

وأما القيمة الأدبية: "فهي تتجلى في كون كثير مما أورده هؤلاء الرحالون في مذكراتهم يمكن ان يأخذ سبيله إلى عالم الأدب والخيال" ويمكن أن نعتبر ما دونه الرحالة مما شاهدوه نموذجا من أرقى النماذج واروعها في الوصف الفني الحي المتميز الراقي لم نزل نفتقده في أدبنا وحتى الحديث منه"، وهو الانصراف عن اللهو والعبث اللفظي ... والايثار للتعبير السهل المستقيم الناضج بغنى التجربة، وصدق اللهجة الشخصية ما لا نجده متوافرا عند البلغاء والأدباء المحترفين ونجده بقوة عند علماء وفقهاء الدين والمؤرخين وهؤلاء الكتاب الرحالين". كما أن هذه الرحلات تكتب بأسلوب أدبي غني بالمحسنات البلاغية، وجمال اللفظ وحسن التعبير، وارتقاء الوصف وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، كما أن الرحالة

يستعين – أحيانا – بأسلوب قصصي سلس، وهذا ما يجعل الرحلات تدخل ضمن فنون الأدب العربي دون منازع[1].

ويمكن أن نضيف قيمة أخرى لا تقل أهمية عن القيمتين السابقتين، وهي القيمة التعليمية، ذلك أن هذا النوع من الكتب يسهم إسهاما كبيرا في تثقيف القارئ، وإثراء فكره وتأملاته عن الآخرين، حيث أن كتاب الرحلات يصورون بعض ملامح حضارة العصر الذي قاموا برحلاتهم فيه، وينقلون ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها، وبذلك تعد مثل هذه الكتب أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وتزويده بثقافات متنوعة وثرية.

كل هذا جعل الرحلة تحتل مكانة محترمة في تراثنا العربي، وقدمت إسهامات بالغة الأهمية في كل العلوم والمعارف، الأمر الذي كان له أثر في تحرير صفحات عديدة من صفحات الحضارة العربية التي تألقت على مساحة شاسعة من العالم من شرق الصين إلى غرب أوروبا، ومنا روسيا شمالا حتى أواسط إفريقيا جنوبا[2].

---

[1] أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، دار الشرق الجديد، ط1، كانون الأول (ديسمبر) 1961، بيروت، ص 5.

[2] المرجع السابق، احمد ابو سعد، أدب الرحلات ص 5-6.

المقدمة

مقدمة:

حمدا لبارئ الانام الذي علمنا البيان وأكرمنا بنعمتي العقل واللسان والصلاة والسلام على رسول محمد وعلى آله وصحبه ومن تلى سبيله في حبه على ممر الحقب و بعد:

يعد أدب الرحلة من الأنواع الأدبية التي اتسمت بمميزاتها وطابعها الخاص، غير أنه لم يحظ بالدراسة التي يستحقها فقد حيد هذا النوع الادبي حتى كدنا نتناساه مع التنويه اليه هنا وهناك في شتات الدراسات التي تناولته اما بطريقة تاريخية أو جغرافية أو سيسيولوجية لما يحمله من تراث متكامل من اخبار المجتمعات وتقاليدها فهو جنس ملم التراث الادبي الزاخر الذي يحفل به.

مثل أدب الرحلة موضوعا ممتعا وثيقا لكثير من الرحالة والمغامرين وشكل محور العديد من الكتب المعرفية الموسوعية. كما استقطب اهتمام الكتاب الرحالة الذين وصفوا ما انتابهم من مشاعر واحاسيس، وعبروا عن ميولاتهم وانطباعاتهم الفكرية، وشيئا من معارفهم المتعددة. حتى يصدق قول على أدب الرحلة بأنه الأخذ من كل شيء بطرف لأجل ذلك صارت الرحلة بعد تدوينها كشكول معارف يجد فيه كل ذي رغبة ضالته الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ... الخ.

ومن ثم فان رحلة باتت تشكل لوحدها وثيقة هامة، يجد فيها الباحثون مثاقفة بين الدول وبين شعوب وهنا يبقى فيهما كثير من الاجابات والتساؤلات العديدة التي كانت تراودهم حينا من الدهر. لأجل ذلك توجب عناية الجامعات العصرية اليوم، إلى الاهتمام بأدب الرحالات وتخصيص مقاييس تهتم بهذا الجانب لتزويد

الطلبة بكل ما يحتاجونه حول هذا الأدب، وتوجيها لهم لطرق هذا الباب الذي يحتاج الكثير من المعاناة والدرس المتواصل.

وتحقيقا لرغبة كانت الرؤية أن يكون موضوع هذه المذكرة حول أدب الرحلات ودوره في المثاقفة بين الشعوب الساق على الساق للشدياق انموذجا. في حين اعتمدنا على المنهج وصفي يوصف بعض من رحلات الشدياق والمنهج التاريخي الذي كان يتحدث على أداب الرحلة عامة بعد هذا تقديم مختصر وملخص لعنوان مذكرة نموذجا كان لشدياق أحد اعلام النهضة الحديثة فقد تمتع بمكانة مميزة بين أدباء عصره إذ أضاف إلى النهضة الحديثة في اللغة والفكر في البلاد العرب والاسلام اضافات جعلت الرحل يحق رائد من رواد القرن التاسع عشر فقد أنشأ أول مدرسة تجديدية حلت في الادب العربي الحديث فكان جاحط عصره، حيث لقبه العديد من النقاد بفكتور هبقو العرب.

والشدياق من كتاب القرن التاسع عشر الذين اتصلوا بالأدب الغربي وتأثروا به. وقد وظف في كتابه الساق على الساق موضوع. اجناسا ادبية متنوعة حملت صدى لبعض أفكاره السياسية والاجتماعية والأدبية والفنية، فكتاب الساق على الساق فقد احتار النقاد والدارسون في تجنيسه أما بالنسبة للأهداف التي أود الوصول إليها في بحثي هذا.

1. احياء هذا الجنس الأدبي. "أدب الرحلة".
2. إدراك مدى تجاوب أدب الرحلة مع مثاقفة بين الدول.

مما دفعني إلى طرح الاشكالية التالية: ما هو الادب الرحلة وما هي خصائص أدب الرحلة وعناصرها؟ وفيما تمثلت رحلات الشدياق؟ ومن خلال هذه

الإشكالية سأبني موضوع بحثنا بادلتين ما في وسعنا من خلال القراءة والتطبيق، وقد جاءت هذه الدراسة المتواضعة في مقدمة ومدخل وأربع فصول وخاتمة.

أما المدخل فقد خصصناه للتعريف الرحلة وأدب الرحلة ثم اتبعته بأنواعها واهميتها.

ثم تعرضنا في الفصل الاول والذي كان دراسة نظرية حول أدب الرحلة ونشأتها وتطورها ثم تطرقت إلى أدب الرحلة في العالم وعند العرب أما الفصل الثاني تحدثنا عن المثاقفة بمفهومها وأشكالها وأنواعها ومثاقفة بقنوات وآليات.

أما الفصل الثالث وقد عنونته بنبذة عن أحمد فارس الشدياق عرفنا فيه احمد فارس الشدياق "اسمه ونسبه ووفاته" ثم رحلاته ومؤلفاته وبيئته العائلية وحياته العلمية. أما المبحث الثاني كان متعلق بثقافة احمد فارس الشدياق بين العرب والغرب.

أما الفصل الرابع الذي أخذ عنوان أجناس الادبية في كتاب الساق على الساق فالمبحث الأول تمحور بأدب الرحلة في كتاب الساق على الساق وأدبية رحلات الشدياق ومتن رحلاته أما المبحث الثاني والأخير تميز بخصائص ادب الرحلة وأسلوبها في الكتاب وقيمة أدب الرحلة يا كتاب، ثم ختام المبحث كان متميز بتأثر الشدياق وبرحالة العرب أما الخاتمة فقد جعلتها حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها، في كل فصل ارتأينا إحاطة للموضوع بالتطبيق والتحليل وذلك باجتهاد متواضع. ولعل أهم العراقيل التي واجهتنا في البحث هي ندرة المراجع الخاصة بأدب الرحلة وخاصة في مثاقفة بين الدول.

وفي الاخير وقبل ختام هذه المقدمة أمل منا أن نكونوا وفقنا في اداء الامانة العلمية المفروضة على أمثال البحوث، شاكرتا بلساننا حاليا ومقالنا لاستاذنا المشرف **حنيفي بن ناصر** على حسن توجيهه ورعايته لهذا البحث حتى راى النور وطريق المناقشة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة المناقشين، وذلك على جهدهم في تصويب هذا العمل، ويشهد الله أننا مما ادخرنا جهدا إلا وبذلناه خدمة لأهداف البحث العلمي ومقاصده وما توفيقي إلا بالله عليه توكلنا واليه ننبوا.

الفصل الأول: أدب الرحلات عند العرب

الفصل الأول: أدب الرحلات عند العرب

- المبحث الأول: نشأة الرحلة وتطورها
- المبحث الثاني: ادب الرحلة في العالم
- المبحث الثالث: ادب الرحلة عند العرب

الفصل الأول: أدب الرحلات عند العرب

المبحث الأول: نشأة الرحلة وتطورها

منذ أقدم الإنسان كانت الرحلة هواية الأمم ونجدها في الثقافات والحضارات حتى قبل ان كتاب "**بوزانايس**" رحلة في بلاد الاغرين هو المؤثر الأول في "أدب الرحلة" وقد ظهر هذا الكتاب أثناء القرن الثاني ميلادي.

ثم جاء بعده المؤرخون والجغرافيون الذي كتبوا في هذا اللون وخصوا "أدب الرحلة" بكتب مستقلة وخاصة. وفي القرن الرابع ظهرت التقاليد الأدبية لهذا الأدب على يد **إكسينفون** في كتابه "**أنابيزيس**".

ولما جاء عصر النهضة فعرف "أدب الرحلة" نوعا متميزا في الأدب. وأصبح الأدب ذا خصائص وسمات ممتازة. وكان الرحالون والمكتشفون والمستشرقون ودو السفارات السياسية ساهموا في تكوين أدب الرحلة.

وإذا نظرنا في تاريخ العرب فنجد أن أقدم رحلات العرب خارج الجزيرة هي عن طريق البحر لان موطنهم تحيط الماء من ثلاث جهات، وكانت هذه الرحلات لأجل التجارة وقليل منها لأجل السير والمغامرات الكثيفة.

فهذه الرحلات مما سجلت وما دونت مثل ما يدون في عصرنا أو العصور قبلنا، ولكن كتب التاريخ وكتب الرحلة التي دونت في القرن الثالث تتحدث عن تلك الرحلات، وأول رحلة التي دونت عنها في القرن الثالث الهجري، فنعتبر هذا القرن عصر نشأة أدب الرحلة عند العرب[1].

أدب الرحلة في القرن الثالث الهجري:

من أبرز الرحالين والعلماء والمؤرخين في القرن الثالث الذين ساهموا في أدب الرحلة منهم المؤرخ المعروف بهشام الكلبي الذي يعد نموذجا للرحالة الخبير

---

[1] حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، كفايت الله همداني، أطروحة لنيل الدكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام اباد، باكستان، 2007م/2011م، ص 58.

بالجزيرة العربية، وقد صنف عديدا من المؤلفات، أهمها "كتاب الأقاليم، والبلدان الكبير، والبلدان الصغير، ثم جاء بعد الأصمعي وألف "رسالة في صفة الأرض والسماء والنباتات"، وتلميذه سعران بن المبارك الذي ألف كتاب "الارضين والمياه والجبال والبحار". ومن الذين ساروا على الدرب نفسه، منهم سلام الترجمان، والتاجر سليمان بن موسى المنجم وغير ذلك من الرحالين[1].

وإن أقدم الرحلة المدونة في كتب الرحلة هي رحلة سلام الترجمان[2]. وقام سلام الترجمان بتكليف من الواثق[3] برحلة إلى بحر قزوين ليشاهد سد يأجوج ومأجوج وبدأت رحلته عام 227م. وقد وصل إلى السد، وتفاصيل رحلته موجودة في "المسالك و الممالك لابن خرداذبة".

الرحلة الثانية في القرن الثالث في رحلة التاجر سليمان وهو من تجار العراق الذين ينقلون عروض الهند والصين إلى البلا والعربية. وعاش في القرن الثالث الهجري. ولم يصل إلينا ما يشير إلى بقية اسمه اوجانا من حياته، لانه كان رجلا عاديا، ولعل الأهم من هذا جميعه هو أن سليمان لم يفعل كما تعود التجار ان يفعلوا بان يقصوا قصصهم ومشاهداتهم على ذويهم، ولكنه دون رحلته في مذكرات عام 237م ، ولكن سوء الحظ لم تصلنا في كتاب مستقل، إنما وصلتنا في كتاب أبي زيد السيرافي في القرن الرابع هجري. وفي هذا القرن هناك آخرون الذين دونوا رحلاتهم منهم اليعقوبي وابن خرداذبة[4] وان رستة[5] وغيرهم.

---

[1] حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، كفايت الله همداني، أطروحة لنيل الدكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام اباد، باكستان، 2007م/2011م، ص 58.

[2] رجل من العراق عاش في زمن الخليفة العباسي الواثق بالله، اشتهر بين اهل سر من رأى بإجادته التحدث بعديد من اللغات حتى سمي الترجمان.

[3] هوا بو جعفر هارون بن المعتصم بويع بالخلافة عام 224هـ بعد موت أبيه وتوفي سنة 232 هـ.

[4] هو ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن خرداذبة، فارسيا الأصل.

[5] هو اب علي أحمد بن عمر بن سرتة أحد الجغرافيين الذين ظهروا في أوائل القرن الرابع الهجري.

ادب الرحلة في القرن الرابع هجري:

اتسعت الدولة الإسلامية ووصل الإسلام في أنحاء العالم، وتجار العربي نشروا نداء الإسلام في المناطق لم يصلها الجيش الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك إرسال بعثات دينية لتعليم دينهم الحنيف في المناطق الإسلامية الجديدة، ولذا حدثت رحلات عديدة، وقد وصف فؤاد قنديل تطور ازدهار الحضارة العربية وأشار ان الحضارة العربية ازدهرت لزيادة عدد الرحالة، وظهور خرائط للبلاد الإسلامية لأول مرة، وهو ما يسمى "أطلس الإسلام". وظهور بعض المعاجم التي تضم أسماء الأقطار والأماكن المختلفة، ووصول الرحالة إلى آفاق بعيدة، وخاصة الأصقاع الشمالية من العالم مثل حوض نهر الفولجا وبلاد الروس و البلغار و غيرها.

وشهد هذا القرن ظهور رحالة كبار من اهمهم المسعودي الذي الف "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وابن فضلان الذي كان رئيسا لبعثة التي أرسلت الخليفة سنة 309هـ إلى منطقة بلغار. ودون ابن فضلان رحلته بشكل كتاب، ونشره في القرن التاسع عشر ميلادي.

وتمثل رحلة ابن سليم الأسواني اهمية بالغة لانها تعد أول رحلة إلى بلاد النوبة، تصل إلينا اخبارجها في عام 365هـ، وكان قد بعث به القائد جوهر الصقلي في مهمة دبلوماسية، إلا أن الكتاب لا يزال مفقودا، و لم يتبق منه غير شذرات[1].

يحتفظ بها كل من المقريزي وابن إياس، وأثار كراتشكوفسكي إليه حيث قال: "لم يكن ابن سليم الأسواني وحده هو الذي أسدل عليه النسيان، وإنما يوجد عدد غير قليل من الكتاب المجهولين الذين لم يعرف المسلمون عنهم لسبب ما سوى القليل، وفوق ذلك فإن هناك ثلة، لم تصل الينا مؤلفا تهم او انها لا تزال في طي المجهول".

[1] المرجع السابق، حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي ص 59 – 60.

وغير ذلك من الرحلات التي اشتهرت في القرن الرابع المجري منها رحلة أبو زيد البلخي[1] وكتابه مفقود حتى الآن، ورحلة الاضطخري[2] وقدامة بن جعفر[3] وابن حوقل[4]، ولكل هؤلاء طريقة وأسلوب ونتاج مستقل في رحلاتهم.

أدب الرحلة في القرن الخامس الهجري:

كان البيروني من أشهر رحالة العرب في القرن الخامس الهجري، والبيروني من كبار العلماء والفلاسفة في العرب، وهذا هو البيروني الذي رافق السلطان محمود الغزنوي في فتوحات الهند، وكان يبحث ويسير في بلاد الهندويدون مما يشاهد في تلك البلاء، وكتابه الذي دون في تلك الرحلة العظيمة هو "الهند الكبير او تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل او مرزولة". وهو ليس كتابا في الرحلات او الجغرافيا فحسب، وإنما يتضمن ايضا اراء في الدين والفلسفة والتاريخ.

ومن الرحالة الآخرين في هذا القرن منهم ابن بطلان[5]، وكان ابن بطلان يرتحل من بلد إلى بلد ومن منطقة طلبا للعلم والمعارف وسعيا لاكتشاف الجديد في الفكر والطب.

ونجد أحمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى الشرق وعاش في مكة تسعة أعوام، وخلق لنا كتابا سماه "نظام المرجان في المسالك وممالك". وأكبر رحالة

---

[1] أبوزيد أحمد بن سهل البلخى، من مواليد 235هـ، كان فقيها وعالما وسياسيا ورياضيا، لقب بالجاحط الثاني.

[2] هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، فارسي الأصل معاشاني القرن الرابع الهجري.

[3] هو قدامه بن جعفر بن قدامة أبو الفرج ولد في عام 275 وتوفي سنة 337 هـ ومن أشهر كتبه نزهة القلوب، وزاد المسافر.

[4] هوا بو القاسم بن حوقل ولد في أوائل القرن الرابع الهجري ورحلته تستغرق منه ثلاثين عاما من عمره.

[5] هوا بو الريحان البيروني، عالم بالرياضيات والفيلسوف الجغرافي والمؤرخ العظيم، ولد في ذي الحجة 362 هـ في الخوارزم.

الأندلس أبو عبيد عبد الله البكري أيضا عاشا في هذا القرن وألف فيه كتابان هما "المسالك والممالك" و"معجم ما استعجم من أسماء الاماكن والبقاع"[1].

أدب الرحلة في القرع السادس الهجري:

يكاد هذا القرن ينافس القرن الرابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وادب الرحلة[2]، وإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد تميز القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة واهمية الآثار التي خلفوها، والمناهج اني اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات، بما يعد نقلة حضارية كبرى في هذا للمجال.

واول رحلة في القرن المذكور في رحلة أبي حامد الغرناطي الأندلسي عام 508 هـ، الذي الطاف بالعالم الإسلامي وبخاصة المناطق الشمالية في العالم الإسلامي حيث قض فيها أكثر من خمس وعشرين عاما. وتزوج خلال رحلته، ونشر الاسلام، وصنف كتابين هما "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" والمغرب عن بعض عجائب المغرب".

تم نرى الإدريسي الذي رحل في الأندلس ومصر والشام والغرب حتى آسيا، وهو العالم المعمور آنذاك، ووصف البلاد التي زارها وجمع مادة عظيمة وصمم كرة من الفضة وتصور كافة تضاريس العالم، وقدمها لحاكم صقلية الأمير روجر الثاني، وسمي كتابه الذي اشتهر كثيرا في أدب الرحلة فيما بعد بـ "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".

ثم نرى في القرن المذكور أعلاه العالم النقية أبا بكر العربي الأندلسي (ت 543هـ)، الذي كان اول من استخدم لفظة رحلة في عنوان مؤلف، حيث وضع كتابا سماه "ترتيب الرحلة"، ويعتبر بهذا أول من وضع أساس ادب الرحلات

---

[1] هوا ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ابن بطلان، وكان طبيبا مشهور وشاعرا وفيلسوفا من الكرخ بالعراق.

[2] المرجع السابق حافظ محمد بادشاه الحجار في أدب الرحلة العربي ص 61 – 62.

بالصورة الفنية المأمولة، وقدم لنا مادة ضخمة، تحفل بالمعلومات الثقافية والاجتماعية عن البلاد التي طاف بها.

وغير هؤلاء الذين اشتهروا في إنتاج أدب الرحلة منهم ابن جبيرا[1]، هو الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العرب ، حيث حرص على تدوين مذكراته ومشاهداته يوما بيومه، وأخيرا نذكر الأمير المجاهد أسامة بن منقذ[2] الذي عمر فوق التسعين، وقضى كل عمره في السفر والحرب والصيد، وكان صديقا للقائد العربي العظيم صلاح الدين الأيوبي، و ترك لنا كتابا واحدا الذي اشتهر بين الرحالين ويكفي لنا أن نضع اسمه بين الرحالين، وسمى كتابه "الاعتبار" وكتابه مليء بخبراته وتجاربه وسيق حياته وذكرياته في البلاد التي ارتحل إليها.

ادب الرحلة بالقرن السابع الهجري:

ياقوت الحموي (ت 626 ه) من أحد الوجوه المضيئة في تاريخ العرب، وكان رحالة وعالما جمع به معارف كثيرة وأبحر علوم عديدة، ومن أهم إنجازاته كتابات "معجم البلدان" و "معجم الادباء" مكون من عدة مجلدات ضخمة تحوي بين جوانبها مادة على قدر كبير من الثراء والقيمة عن كافة اقطار ومدن وقرى العالم الإسلامي، وبهذا أصبح معجم البلدان من أهم المعاجم الجغرافية[3].

وقد عده فؤاد قنديل من أبرز رحالة العرب حيث يشير إلى معجمه قائلا: "إنه يكفي الحموي لكي يكون أبرز خدام الرحلة والجغرافيا، أنه استنقذ لنا فقرات مطولة ومهمة من كتابات مؤلفين كبار، لم نعثر حتى الآن على مخطوطاتهم ..."

---

[1] هوا أبو الحسن محمد بن أحمد بنا جبير الكناثي الأندلسي، ولد بلنسية سنة 540ه.

[2] هوا اسامة بن منقد بن علي بن مقد، ولد في عام 488 ه، وكان أمير الفارس والأديب والرحالة المغامرة وصاحب تجربة.

[3] المرجع السابق، حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، ص63.

ثم نرى بالقرن السابع البغدادي[1] (ت 629هـ) الذي نال شهرة واسعة بفضل كتاب صغير الفه بعد زيارته لمصر سماه "الإفادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر". وفيه يصور أحوال مصر ابان زيارته لها، وقد قام بزيارتها مرتين عامي 587،589هـ، وبقي فيها نحو ثلاثة عشر عاما، وكان يدرس خلالها بالجامع الأزهر.

وتنوعت رحلات البغدادي وتعددت أغراضها، ما بين رحلات سياحية للقاء الملوك والوزراء، وخير ما قال فؤاد قنديل عن رحلاته: "ولست مبالغا إذا اعتبرته في ميزان هذه الدراسة رحالة مثاليا تحقق فيه كل سمات الرحالة الذي أغرم بالسفر منذ الصبا البار بحثا عن المعرفة بكافة اشكالها وصورها.

ونصل مع نهاية القرن الى رحالة له سمات خاصة هو الأديب الفقيه محمد العبدري[2] الذي بدا رحلاته عام 688هـ، وقد تجنب في كل مراحلها استخدام البحر، مؤثرا البر و خلف لنا "الرحلة المغربية" التي اشتملت – رغم قسوته وحدته في أحيان كثيرة – على أدق وصف لبلاد الشمال الإفريقي.

أدب الرحلة في القرب الثامن الهجري:

زين هذا القرن بموسوعات مهمة، وكلها تسهم في إضاءة أدب الرحلات وخدمته، مثل: "نهاية الأدب في فنون الأدب" للنويري، و"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لأبي فضل العمري، إلا أنهم جميعا كانوا من كبار المثقفين الموسوعيين، ناقلين وجامعين لصنوف العلوم والمعارف، وإلى جانب احتفالهم بالمعلومات التاريخية والجغرافية، فقد حرصوا على نشر المنتجات النثرية والشعرية التي ترتبط بالمواقع والأحداث وليس من شك أن هذه الموسوعات ضربت بسهم وافر في حفل أدب الرحلة العربي على أن كل ما أثمره هذا القرن يتضاءل كثيرا

[1] هو الامام الفقيه المحدث اللغوي الفيلسوف الرحالة المعروف بعبد اللطيف البغدادي ولد في بغداد سنة 557 هـ.

[2] هو محمد بن حمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري، وهو فقيه ولغويا واديب ورحالة مغربي.

زاد ظهور النجم الكبير والرحالة العالمي صاحب "تحفة النظار في غرائب القصار وعجائب الأسفار" ذروة أدب الرحلة العربي، وأشهر من حال في البلاد وجلس في الامصار، و عجائب الاسفار ذروه أدب الرحلة العربي، واشهر من جال في البلاد و جاس في الامصار، والتقى بالعلماء والملوك، وتزوج النساء في أغلب البلدان، وقطع أكثر من مائة وعشرين ألف كيلومتر، وداس جميع الأراضي التي وصل إليها بشر حسب علمه باستثناء دول الشمال، وأبرز من كتب عن إفريقيا[1]، إنه ابن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي.

ونجد ايضا في هذا القرن ابن خلدون[2] الذي لا يحتاج إلى اي تعريف، وكتابه في أدب الرحلة "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا". وكان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته، بينما شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية، ومع ذلك فالكتاب يتضمن نصا جيدا في أدب الرحلة العربي، إذ تعددت وتنوعت وكثرت مخاطرها، ولم تخل من الملاحظات الدقيقة الذكية، التي لا تكاد نعثر عليها لدى غير هذه الشخصية الطموحة الوثابة، ولو كان ابن خلدون قد عني بإفراد كتاب مستقل لرحلاته، مع انتهاجه أسلوبا ادبيا بسيطا متدفقا، يخلو من السجع والمحسنات البديعية لوضع مصنفا بديعا في أدب الرحلة، لا يقل اهمية عن مصنفاته في التاريخ أو الاجتماع، ومن رحالة هذا القرن ايضا ومحمد التجاني[3] لكننا لا نعرف عنه الكثير، وإن كانت بعض المؤلفات قد أشارت إليه. وهكذا أبو الفداء ألف كتابا في ادب الرحلة "تقويم البلدان".

---

[1] المرجع السابق، حافظ محمد بادشاه، الحجاز أدب الرحلة العربي، ص 64.

[2] هو عبد الرحمان بن سهل وليد الدين ابن خلدون، ولد في عام 732ه في تونس.

[3] هو أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، فقيه واديب تونسي وهو من مواليد سبعنيات في القرن الثامن الهجري.

آدب الرحلة من القرن التاسع الى بداية النهضة العربية:

هذه الفترة من الزمن هي الفترة التي فيها أوضاع العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت على وشك التدمير والانتهاء، فلذا قلت الرحلات، والذي قام برحلات إلى الخارج في أسوأ حالة العربية منهم عبد الغني النابلسي[1] ودون رحلة باسم "الرحلة الحجازية" والطرابلسي والعياشي، وقد ذكر فؤاد قنديل عدة أسباب لقلة عدد الرحلات في القرون التاسع إلى الثاني عشر الهجري، حيث قال: ونحسب أن لذلك أسبابا عديدة منها:

1. المشكلات السياسية والاقتصادية التي لحقت وعمت العالم العربي.
2. النكوص الثقافي والحضاري والتدهور الانساني بشكل عام.
3. زوال دولة الإسلام من إسبانيا.
4. سقوط كل دولة تحت عبء، مشكلاتها الداخلية والنزاع على السلطة.
5. بدء الكشوف الجغرافية الكبرى، واكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين وبداية الصعود الحضاري الأروبي.

وهذا هو عرض وجيز في نشأة أدب الرحلة وتطورها في الأدب العربي، وأكتفي بهذا القدر[2].

المبحث الثاني: ادب الرحلة في العالم:

غني عن البيان والتذكير بأن فن الرحلة كباقي الفنون الأدبية، بدأ بداية موسوعية مرتبطا بالجغرافيا والتاريخ، ثم صار ادبا قائما بذاته كما هو عليه الآن، فأدب الرحلة موغل في القدم عرفته أمم شتى، مثل الفراعنة والفينيقيين والإغريق والرومان.

---

[1] هو عبد الغني النابلسي توفي عام 1143 هـ وكان من فقهاء دمشق.

[2] المرجع السابق، حافظ محمد بادشاه، الحجاز في ادب الرحلة العربي، ص 65 – 66.

فالتاريخ يحدثنا "ان المصريين كانت لهم منذ حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد رحلات متعددة بالبر والبحر إلى بلاد بنت (الساحل الصومال)، وأن الملكة "حتشبسون" جهزت حملة إلى هذه البلاد عام 1495 ق.م، سيرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر الأحمر، وأن النقوش البارزة في (الدير البحري) بمصر تخبرنا كيف سيرت هذه السفن، وكيف استقبلت (بنت) المصريين وكيف عادوا"[1]، فبقيت هذه الرسوم، والنقوش شاهدة على تلك السفرات والمغامرات التي شهدتها تلك الفترة الزمنية.

كما كان الشعب الفينيقي "قائما على أمر الملاحة في البحار، فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ فيها على مرافئ بحر الروم، وشواطئ، أوروبا الغربية، وخاض عباب المحيط الأطلسي واكتشف بعض سواحل إفريقية الغربية، ووصل إلى أمريكا .... وقد سجلت رحلاته هذه في مصنفين اثنين هما: رحلة جنون "القرطاجي" حول القارة الإفريقية، ورحلة "عملقون" إلى سواحل أوروبا الغربية"[2] غير أن المصفان لم يصلانا كاملين، بل نتفا منهما فقط لينتقل أدب الرحلات من كونه وعاءً لملا المعلومات المتناثرة إلى معرفة منظمة.

ومن بعد الفينيقيين جاء الإغريق، أين نجد "هيرودوت" الذي استقى من رحلاته الطويلة العريضة في بلاد الإغريق مسحا وصفيا شاملا لها، ومن ثم استطاع تقديم عرضه العظيم للتاريخ في عام 425 ق م، ولم يسع إلى الوصف التفصيلي لرحلاته، بل اكتفى بالتركيز على النتائج التي أنشأت علم الجغرافيا"[3]، وبعمله هذا أصبح أبا للتاريخ وأدب الرحلات ايضا.

---

[1] احمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ط1، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ديسمبر 1961. ص7.

[2] المرجع نفسه، أحمد أبوسعد ص 8.

[3] أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر جامعة أدرار، سنة 2013/2012م.

ثم خلف اليونان الرومان ... فغدوا السير في الآفاق يضربون في أرجاء الإمبراطورية الواسعة حتى وصلوا إلى جزائر كناري، وطافوا بدولتهم في إفريقيا وآسيا، وبلغوا الهند والشرق الأقصى ...، ومن أشهر مؤلفاتهم "التعليقات" ليوليوس قيصر، و"جرمانية" لتاسيت، و"العشريات" لطيطش ليوش. وكلها كتب جمعت فحواها بين القيمة الجغرافية والتاريخية معا، وكذا الامانة في الوصف، والتفنن في السرد.

لياتي فيما بعد ذلك العصر الوسيط اين اشتهر "ماركو بولو" (1254-1324)، برحلاته صوب الشرق حتى بلاد الصين، ولما عاد كان في جعبته الكثير من الروايات والأحداث عن عالم جديد يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي عاش فيه في أوروبا، كصحراء جوبي، صقها في كتابه المليون الذي ألفه سنة 1299، الأمر الذي قلص الهوة بين الغرب والشرق، خصوصا أن الطريق أصبح معروفا بلام بحرا.

أما القرن الخامس عشر الميلادي اكتشف "هنري" المعروف بالملاح أقساما مجهولة من الشاطئ الإفريقي سنة 1441م، ووصل "بارتولو ميودياز" سنة 1486 م الى (رأس الأعاصير) في الطرف الجنوبي من القارة الإفريقية[1]، فكانت الرحلات الاستكشافية نحو الجنوب، التي أثمرت بالتعرف على القطب الجنوبي.

وبعده "فاسكودا جاما" (1460-1524م)، و"كريستوف كولومبوس" سنة (1441-1506)، و"فرديناند ماجلان" (1480-1521) الذين اشتهروا كرواد لرحلات بحرية، حيث اتجه فيها "داجاما" سنة (1497م) من الشمال إلى الجنوب، بينما قصد "كولوموس" 1492 "وماجلان" سنة 1519 صوب الغرب البعيد، وعبر المحيط الأطلس مجهول السعة والابعاد حينذاك"، فانفتح العالم باكتشاف أمريكا، كما عرفت جزرا كانت مجهولة من قبل واجناس بشرية متنوعة.

---

[1] احمد ابو سعد، ادب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ط1، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت ديسمبر 1961م، ص 26.

فاتسع مجال أدب الرحلات، وتعددت أعمال الرحالة، "مرورا بالسجلات الكشفية التي قام بها "آنسون وكوك" في القرن الثامن عشر، ووصولا إلى الأعمال الموسوعية التي قام بها شركاء كثيرون في البعثات العلمية الشهيرة منذ أيام "هامبولت""، التي برزت تحت تأثير العاطفة. وفي هذه الأثناء ظهرت الرحلة الشاعرية، وهو ما نلاحظه عند ""غنيه" في رحلته الإيطالية عام 1788م، وعند كتابات شاتوبريانو جورج بورو، وهانريخ بارت، سير ريتشارد بيرتون وفريتوف ناسين، وسفن هيدين".

وغيرهم كثير من الذين وظفوا خصائص الأدب الرومانسي بتوظيفهم للطبيعة، واستعمال الخيال أحيانا، مما دعا إلى بروز صنف آخر للرحلة يتمثل في الرحلة الخيالية كأعمال رابليه مثلا[1].

المبحث الثالث: التعريف بأدب الرحلة عند العرب

سنجعل الفتوح الإسلامية نقطة البداية في هذا الحديث، مع أن عرب الجاهلية سنجعل كان لهم رحلاتهم التجارية إلى بلاد العراق والشام واليمن وغيرها، ثم إن بعض الشعراء كانت لهم رحلاتهم في داخل الجزيرة وإلى خارجها. ومع أنا هذه الرحلات لم يدون منها شيء أكثر مما ورد في مضامين الشعر وكتب اللغة فيما بعد إلا أنه لا بد أنها أفادت العرب فوائد عملية جلى في فتوحاتهم التي انطلقوا فيها إلى ما جاورهم من بلاد لهم بـها سابق معرفة عن طريق هذه الرحلات وغيرها من مثل رحلات عبور البحر ... وجاءت عملية الفتوح رحلة أو رحلات في ذاتها قدمت للعرب تجارب ومعارف جديدة كلما توسعوا في هذه الفتوح، وخلقت ظروفا أخرى جديدة إقتضت الرحلة والبحث: فقد وحد العرب البلدان التي فتحوها دينيا وثقافيا إلى حد بعيد، وتطلبت مسألة إدارتها التعرف التام عليها لضبط شؤونها المالية والإدارية بتنظيم الإدارة والبريد والخراج خصوصا وأن ذلك يرتبط

[1] نبيل راغب فنون الأدب العالمي، الشركة المصرية العالمية للنشر مصر، 1996، ص94.

بالطريقة التي تم بها الفتح ليتقرر على أساسها مقدار الجزية والخراج، ومن ثم تحمل المؤرخون من أصحاب السير والمغازي مهمة وصف هذه المدن وسكانها وأحوالهم، وبتحدد الأمور وتبلورها مع الأيام، استقل البعض بوصف المدن والأقاليم والتعريف بها وبطرقها وبخراجها. وكان متولو البريد وأشباههم أصلح الناس للقيام بهذه المهمة، فلم يكن غريبا إذن أن يؤلف "**ابن خردابة**" كتابه (المسالك والممالك) تقريرا عن جباية الدولة العباسية، وهو يومها متولي البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس، وحرره في سامرا بعيد عام (230) هـ، ثم كان كتاب (الخراج) لقدامة ابن جعفر، بين فيه الطرق والمسافات فضلا عن قيمة جباية المملكة، وضمنه أخبارا كثيرة تتعلق بأحوال الدولة والبلاد المتاخمة لها. وفي هذه الفترة كان للمسلمين قد علقوا بعلوم اليونان وكتبهم فتأثرت أبحاث العرب الجغرافية في عهدها الأول بما وصل إليه اليونان من قبل، فكان أثر بطليموس على الجغرافيين منهم كبيرا، فجاءت كتبهم تحمل آثاره بشكل واضح.

"**فابن خردادبة**"، نقل بعض كتابه عنه ثم أضاف إليه الخراج والطرق على ما ذكره هو في "مقدمة كتابة، والخوارزمي في كتاب (صورة الأرض) خلفا لنا خلاصة لجغرافية بطليموس إذ حذا حذوه، واختفى أثره، غير أنه جاء بكتاب جديد ممدوح مستحسن"[1].

وبالإضافة إلى ذلك فقد اقترنت بالحاجة الإدارية حاجة دينية اقتضت وصف طرق الحج لتعين محطات القوافل ومنازل الحجاج بين البلاد والأماكن المقدسة في الجزيرة. ثم إن كثيرا من الحجاج والتجار قد وصفوا في كتب خاصة الطرق والبلاد التي رأوها. ولا شك أن طلب العلم في مراكز البلاد كان يقتضي رحلة طلابه من أطراف ومدن، عديدة في أنحاء البلاد الى المراكز العلم فيها، يساعدهم وحدة البلاد السياسية والدينية والثقافية. فكان ذلك أيضا أحد أسباب الرحلة الداخلية

---

[1] حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1403 هـ .1984م، ص 10 – 11.

ووصف المشاهدات وتأليف الكتب فيها، كما كان عند البعض روح المجازفة والمغامرة على غرار رحلة الفينة المغررين في بحر الظلمات، حتى أنه ليظن أنا من العرب من وصل إلى أمريكا قبل كولمبوس.

ومن الطبيعي أن العرب لم يبدأوا في تمثل الخبرات الخاصة بهم إلا بعد رسوخ قدمهم وأزياد معارفهم العلمية. حتى أنه "يمكن القول بأن مصنفات المسلمين لم تنشأ فرعا متميزا بنفسه عن فروع التأليف الأخرى إلا بعد عام 800 الميلاد". فعظمة الدولة في ذلك الحين هيأت لهم آفاق الاتصال القوي مع غيرهم عن طريق السفارات والبعثات مما فتح لهم أبواب معرفة عملية جديدة عرفوا من خلالها أخبار مجاوريهم معرفة دقيقة. ومن أقدم منا يذكرونهم في هذا الباب سلام الترجمان الذي يقال إن الخليفة الواثق (842–847) أرسله في بعثة الى بلاد الصين ليشاهد السد الذي بناه الإسكندر في ديار يأجوج ومأجوج، وعادت الرحلة لتقص على الناس أخبار الصين وعجائبها. وكذلك فإن هناك بعثات دينية كان لبعض أفرادها دور في ميدان الرحلات والكتابة فيها، كالبعثة التي أرسلها الخليفة المقتدر عام 1921م إلى بلاد البلغاريين كان ملكها قد طلب بعثة دينية بسبب دخول كثير من البلغار في الإسلام.

وراس هذه البعثة (ابن فضلان) ووضع كتابا وصف فيه تلك البلاد وذكر عادات أهلها وأحوالهم. ومع الزمن وبقوة الدولة الإسلامية بدأت العلوم والمعارف في النضج عند العرب، ومن بين هذه المعارف الجغرافيا الوصفية التي قامت على رحلة بعض المفكرين والأدباء لسبب أو لآخر، فاطلعوا خلال رحلاتهم على أحوال البلاد وشاهدوا حياة أهلها وعاداتهم، وكتبوا في مظاهر الحياة الطبيعية وغير الطبيعية. ومما تجدر الاشارة إليه أن غالبية هؤلاء الرحالة المؤلفين كانوا كتابا قبل كل شيء، فجاءت كتاباتهم يغلب عليها الطابع القصصي يستندون به إلى الواقع

أحيانا ويجنحون إلى الخيال احيانا آخرى ويحفلون فيه بالقصص للمتعة التي تسمو به إلى مرتبة الأدب الفني. الصرف في أغلب الأحيان[1].

وجلى بالذكر أن العرب، قد أسهموا إسهاما كبيرا في تطور ادب الرحلات فأبدعوا فيه حتى فاقوا أقرانهم في السبق إلى التفنن فيه بأساليب الإبداع المختلفة، مصورين بذلك حياة، وأوضاع عايشوها نفسهم طوال رحلاتهم، او تصورها في خيالهم، فعبروا عنها كما سمعوها، او كما تمنوا ان تكون في ذاكرتهم، في حين تتسم بعض الرحلات بالجمع بين الجانب الواقعي والخيالي في آن واحد.

فقد عرف العرب الرحلة منذ العصر الجاهلي فقاموا برحلاتهم التجارية إلى بلاد العراق، والشام، واليمن ... وغيرها من البلدان، كما تبين لنا الآية الكريمة في قوله تعالى (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2))، فكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء لأنها بلاد حارة، والرحلة الأخرى إلى الشام صيفا، لأنها بلاد باردة وكان لنشر الاسلام الأثر الأكبر في انتشار الرحلات فقام المسلمون "بوصف البلاد التي فتحوها، كما دعاهم إلى ذلك الاستخبار عن الأمم السابقة، ونقل علومهم ومعارفهم إلى العربية"[2] وبذلك نجد الرحلات الدينية والرحلات التعليمية الإسلامية ولما بدا القرن الثالث للهجرة بدأت معه ذلك مرحلة تجمع فيها من أخبار الرحالين، وحكاياتهم كثير، لعل من اقدمها تلك الاخبار التي رواها "ابن خردذابة" عن "سلام الترجمان" في كتابه المسالك والممالك. الذي شكل تقريرا عن الدولة العباسية.

كما برز كتابان شهيران: "كتاب البلدان" و"فتوح البلدان"، لصاحبها اليعقبوي (ت 284ه او 292ه)، والبلاذري (271 و892م) اللذان كان لهما الأثر الكبير في الكتابات التي اتت من بعديهما.

---

[1] المرجع السابق، د حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص12.

[2] محمد الامين فرشوخ، موسوعة عباقرة الاسلام، ج1، دار الفكر العربي، بيروت، سنة 1996، ص140.

في القرن الرابع الهجري إذ يمثل هذا القرن، قمة النضج الفني الادب الرحلات، بظهور كبير من الرحلات من أشهرهم: ابن فضلان" "بعتة الخليفة المقتدر بالله في 11 من صفر سنة 309 هـ 21 يونيو 921م، في رحلة بلاد الترك، والبلغار والخزر والروس والصقالبة"، بغية تعليم الدين الحنيف، ونشر العقيدة السمحاء في هذه البلدان، وقد برع وصفها وصفا يليق بأهميتها[1].

وفي القرن الخامس الهجرة: بزغ اسم "أبي الريحان محمد البيروني"، الذي كان قد التحق بالسلطات "محمود الغزنوي" في (غزنة) سنة 1017م، حيت قام بعدة رحلات عالمية في بلاد الهند التي قضى فيها نحو اربعين سنة، ووضع كتابه "تحقيق ماللهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرزولة". واعتني فيه بالجانب الفكري والثقافي للهنود.

اما القرن السادس للهجري: فقد تميز بشهرة الرحالة المغاربة، الذين جابوا أنحاء العالم شرقا و غربا، شمالا وجنوبا، فاكتسحت اعمالهم المكتبات الأوربية، ونافستها في جودتها، وصدق تجربتها من أمثال: الأندلسي "ابا عبد الله محمد بن محمد الإدريسي" (1099-1153م)، صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، تبين فيه حسه الجغرافي، بوصفه الجيد ومهارته في صناعة وإعداد الخرائط ..، الأمر الذي جعل البعض يخرون إلى "الإدريسي" أعظم جغرافي في العصور الوسطى على الإطلاق، نظرا للدقة التي ترجع إلى مشاهداته الشخصية، التي توحي بدرجة عالية من الثقة.

الوارجلاني (500-570هـ) 1100-1170م، حيث "تتفق معظم المصادر على ان الشيخ أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي الوارجلاني" ثلاث رحلات مهمة وهي: رحلته إلى الأندلس طلبا للعلم، والى السودان للتجارة والاستكشاف، وللمشرق لحج بيت الله الحرام"، جامعا بذلك أنواعا ثلاثة من الرحلات: العلمية والتجارية والحجازية.

[1] المرجع السابق احمد ابو سعد، ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي، ص 23.

احمد بن جبير الكناني البلنسي (1144-1217م) تبين في رحلاته مع كل بلدة وكل مشهد. التاريخ باليوم والشهر، ويبدوا انه كتبها في أوراق منفصلة، وكان الموت عاجله قبل أنا يجمعها نهائيا، فجمعها بعض تلاميذته ونشرها بعد وفاته باسم تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" وله رحلتان، بعد هذه الرحلة حج في كل منهما، وآثر من نشروها في العصر الحديث من المستشرقين والعرب أن يطلقوا عليها اسم "رحلة ابن جبير"[1].

وابتداء من القرن السابع للهجرة: بدأ الجانب العلمي يطغى على أدب الرحلات، والذي برز من خلال كتابات الرحالة.

العبدري (ت بعد 740هـ، 1289م) في "الرحلة المغربية" "والذي غادر الأهل والديار ... خائضا غمار السفر ... وقبض على عصا التيار قاطعا المهامة والقفار غايته ... زيارة البقاع المقدسة حيث يتجه للمسلم خمس مرات ..."[2] فالظاهر من اسمها انها مغربية الوجهة غير أنها في الواقع رحلة مشرقية حجازية.

القزويني (605-682-1208-1283م)، من آثاره مؤلفان من حجم واحد تقريبا: أحدهما عن (نظام الكون)، والكتاب الأخر عن الجغرافيا، فكتاب القزويني الأول "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" بقي معروفا خلال القرون الطوال من العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة ...، اما كتاب (الجغرافيا) فلدينا معه نسختان اصليليتان بعنوانين مختلفين: اقدمهما باسم (عجائب البلدان)، وأحدث النسختين عنوانها "آثار البلاد واخبار العباد" مما يدخل في باب الجغرافيا التاريخية، وقد كتب سنة 1250م.

---

[1] بورقبة مريم، أدب الرحلة عند محمد الخيضر حين (الرحلة الجزائرية) انموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أدار، سنة 2012-2013م، ص24.

[2] مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1979، ص 12.

ياقوت الحموي (575-626/1179-1229م) الذي كان، رحالة وعالما، جمع بين مع معارف كثيرة وأبحر في علوم عديدة منها: الجغرافيا، والادب، وعلوم الشريعة واللغة العربية، صنف كتباعدة أهمها كتابان: "معجم الادباء"، معجم البلدان "القاموس الجغرافي الأشهر.

أما القرن الثامن للهجرة: فهو يمثل القرن الذي بلغت فيه رحلات العرب أقصى غاياتها، سواء من الناحية المعرفية، او الناحية الجغرافية، أين برز الرحالة المغربي المشهور "ابن بطوطة".

انساق بحبه الأسفار والتجوال في بلدان العالم المعروف في أيامه، ورحلاته ثلاث استغرقت كلها زهاء تسع وعشرين سنة[1]، طوال هذه المدة مر بالعديد من البلدان الإسلامية فزار زواياها، ومدارسها القرآنية، واصفا بدقة متناهية التركيبة السكانية، والمنطقة الجغرافية، وما تميز به من نباتات، وصناعات وحرف، بالإضافة إلى ما فيها من الغرائب والطرف.

ثم القرن التاسع للهجرة، الذي يعتبر خاتمة وعصور الرحلات العربية في القرون المتوسطة، وقد اشتهر فيه الكثير من الرحالة أمثال:

الحسن الوازن (888-957هـ/1483-1550م) المعروف في اوروبا باسم ليون الإفريقي) زار شمال إفريقيا، وبدأ رحلة السودان الغربي (غرب إفريقيا) سنة 1510 موفدا إلى دولة صنعى من حاكم فاس.

وزار (تمبكتو) ووصفها وصفا دقيقا، وأبحر في نهر (النيجر) وزار (مالي) وبلاد الحوصة (الهوسا) و (بورنو) ... وقد نشر رحلاته الأفريقية بالإيطالية سنة 1550، ثم ترجمت الى الإنجليزية سنة 1600، تحت عنوان تاريخ افريقيا ووصفه

[1] المرجع السابق، أدب الرحلة عند محمد الحضر الحسن، مذكرة لنيل شهادة الماستر ص 25.

The Description of african history ونشرت جامعة الغمام محمد بن سعود بالسعودية هذه الرحلة كاملة في طبعة محققة[1].

[1] لس هوارد، أشهر الرحلات في غرب افريقيا، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1996، ص 10.

الفصل الثاني: المثاقفة

الفصل الثاني: المثاقفة

- المبحث الأول: المثاقفة مفهوم وتعريف
- المبحث الثاني: المثاقفة اشكال وأنواع
- المبحث الثالث: المثاقفة قوات واليات

الفصل الثاني: المثاقفة

المبحث الأول: المثاقفة مفهوم وتعريف

المثاقفة مفهوم مرتحل بين الحقول المعرفية، تمتد جذوره إلى الأصول الأولى لظهور الإنسان، باعتباره قيمة واستراتيجية تنفي العزلة وتعيد نظرية الاستحالة اللاتواصلية.

وتتمظهر المثاقفة في اشكال مختلفة وهيئات متعددة توظف آليات كثيرة، لتحقيق عمليات التواصل والاتصال، ولعل جوهره آليات التواصل ووسيلته المركزية هي اللغة، فكثيرا ما يشكل المعجم اللغوي بمكوناته الدلالية واستراتيجياته الخطابية حافزا للتواصل الايجابي، يكون دعوة لاستقبال "الآخر"، وحاجزا وعائقا سلبيا امام تلقي "المغايرة" وثقافة الاختلاف[1].

بحيث هناك تعريفات كثيرة المصطلح المثاقفة، متشابهة أحيانا، ومختلفة في سياقات أخرى، ولعل تعريف موسوعة Wikipedia تقربنا كثيرا من المعنى المقصود المثاقفة، حيث هي اكتساب ثقافة مغايرة للثقافة الأصلية للفرد أو الجماعة، وهي هنا تشير إلى الثقافة الأجنبية التي يضيفها الفرد او الجماعة للثقافة الأصلية، وذلك من وجهة نظر مستقبل تلك الثقافة، حيث تضاف الثقافة الجديدة إلى أو تختلط بثقافة (الفرد أو الجماعة) المكتسبة محليا منذ الميلاد.

وهناك فارق – إذا ما أردنا الدقة الشديدة – بين المثاقفة لدى الفرد، وهي Trans culturation وبين المثاقفة لدي مجموعة وتعني Acculturation، غير أن المطلع الأخير هو السائد في الإشارة إلى المثاقفة، سواء لدي الفرد أو الجماعة، وبالرغم من أن استخدام المصطلح بالمفهوم ما بعد الحداثي قد أثار جدلا واسعا بدلالاته الملتبسة، خاصة في الوطن العربي، فان تاريخ المصطلح

[1] مكي سعد الله، هانات المثافقة بين عنف اللغة ولغة العنف، قسم الدراسات الدينية، 25 يوليو 2020، ص 3.

يعود لنهاية القرن التاسع عشر، حيث كان العالم النفسي "ج.و.باول J.W.Powell" اول من صك هذا المصطلح، عام 1880، ثم طوره عام 1883، وعرفه بأنه يشير إلى التغيرات النفسية الناجمة عن المحاكاة عبر الثقافية[1].

وقد اثار المصطلح ولا يزال جدلا واسعا في العالم العربي، فالبعض يرى انه غزو ثقافي وانه نتاج تأثير ثقافة غازية قاهرة في ثقافة مستقبلة مقهورة، والبعض الآخر يرى أن التثاقف عبارة عن لقاح وتلاقح. وربما تعني المثاقفة كل ذلك. لكن ما نعنيه بالمثاقفة هنا هو التحاور والمقارنة بين ثقافة جديدة يتم اكتسابها اختياريا، وبين الثقافة الاصلية لدى الفرد او الجماعة. وتؤدي المثاقفة من هذا المنطلق إلى حدوث تغير ما، ناتج عن المزج او الحوار بين حضارتين او ثقافتين، وليس خضوع ثقافة لثقافة اخرى.

ان المثاقفة بهذا المعنى هي ما يشير اليه "جارودي" في حديثه عن ضرورة تجاور وتحاور الثقافات، وهو عكس ما يرمي الى "فوكوياما"و "هنجنون"، حيث يرى الاول أن دورة التاريخ تنتهي بخضوع الحضارات الضعيفة (الان) للحضارات الغربية (النموذج الأمريكي خاصة). بينما يتحدث الثاني عن حتمية صراع الحضارات، ويعطيها شكل الصراع الديني بين الغرب المسيحي والشرق المسلم، وهذه المعاني التي يشير إليها كل من "فوكوياما" و "هنتنجنون" هي عينها ما يحدو بالبعض الى التشكك في ماهية المثاقفة، والتخوف من اهدافها ومراميها[2].

والمثاقفة بوصفها مصطلحا حديثا، فان تركيبه اللغوي يوحي بمعاني التلاقي والاحتكاك، والتمازج والتفاعل والتبادل والتلاقح والاتصال المثمر، كما يعبر ايضا عن المعنى القديم الذي واكب الانسان منذ ازمان سحيقة، بحركه ميل عميق في ذاته نحو التواصل مع الآخرين لمعرفة ما لديهم، والاطلاع على انماط تفكيرهم

---

[1] د.جمال نجيب التلاوي، المثاقفة عبد الصبور واليون .. دراست عبر حضارية، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 6-7.

[2] المرجع السابق، جمال نجيب التلاوي، المثاقفة عبد الصبور واليوت، ص4.

واساليب حياتهم، وابتكار السبل التي تمكنه من تحقيق ذلك ثم الاستفادة منه من خلال اثراء فكره وواقعه بما يجده نافعا ومفيدة[1].

وافضت الدراسات المنجزة حول تعريف "المثاقفة" من قبل الباحثين في مختلف الاختصاصات مثل علماء التاريخ وعلماء الاجتماع ومهندسين وفلاسفة وانترولوجيين الى نتائج متباعدة ومتناقضة أحيانا، والسبب في ذلك هو الانطلاق من نقاط مختلفة، الى جانب تشعب الوضعيات وتسرع التطورات والتحولات وتنوع الاشكالية وقلة النتائج، لذلك جاءت تعاريف "المثاقفة" بنوع من التناقض.

هذه نماذج مختلفة عن تعاريف "المثاقفة" قدمها بعض المثقفين العرب والعالميين، تعطينا نظرة مختصرة عن تشعب هذا المفهوم انثروبولوجيا وتاريخيا، وتمكن مع كل هذا أن تتعدى التصنيفات الجزئية إلى النظرة العالمية التي تكتسي التناقض في تقديم تعريف لمصطلح "المثاقفة".

قسم "جاك ديمورغون" Jacques Demorgon "المثاقفة" كمايلي:

- **المثاقفة المحلية:** وتمكن في التعايش الإنساني وفي المجتمع الصغير اي الثقافة في مفهومها الضيق.
- **المثاقفة المقارنة بالخارج:** وهي المجسدة في اكتشاف الآخر.
- **المثاقفة المورطة في المشاركة مع الاخر:** وتتجلى هذه "المثاقفة" وبوجه خاص في القضايا السياسية. فهذا يعبر عن خلط بين مفهوم التثاقف "والمثافقة"، فهذا التفسير يدل على شكل تثاقفي نظرا للتبعية السياسية التي تولد هي الأخرى التبعية الاقتصادية.
- **المثاقفة المرتبطة بالمفاهيم والمقاربات الفكرية:** وهذا لا يمكن أن نعتبره "مثاقفة" بما ان المقاربات هي الأخرى تتضمن الخلفية السياسية.

---

[1] سارة بوزرزور، الترجمة وفعل المثاقفة، مذكر لنيل شهادة الماجستر، جامعة وهران سنة 2009 – 2010م، ص 68.

- **المثاقفة المتعلقة بالبحث عن الإطار الحقيقي:** مثل وحدوية أو ثنائية أو ثلاثية الموطن او تعددية للوطن، وهنا يمكن ان تطرح قضية ما بعد الوطنية في خضم وسائل الاتصال الحديثة[1]. ويعرف "محمد برادة" المثاقفة قائلا بانها: "بمثابة مصطلح سوسيولوجي ذو معاني متداخلة وتقريبية، وبصفة عامة يطلق على دراسة التغير الثقافي الذي يكون بصدد الوقوع نتيجة لشكل من اشكال اتصال الثقافات مثل الاستعمار المبادلات التجارية والثقافية والاسفار ... وغيرها، وتؤدي "المثاقفة" إلى اكتساب عناصر جديدة بالنسبة لكلتا الثقافين المتصلين ويرجع "برادة" صعوبة مصطلح "المثاقفة" إلى تعداد المصطلحات المتقاربة في الاشتقاق، لكن الأكثر اهمية في تعريف "برادة" أن التغير لا يعتري طرفا ثقافيا بمفرده، بل يطال كلتا الثقافتين المتصلتين، وأظن أن هذا التعريف بعد الأكثر اتساقا مع معنى المفاعلة بمعنى اشتراك طرفين أو أكثر في فعل واحد ومن هنا يقع التغير عليهما معا في الوقت نفسه وهو الأمر الذي تعززه وقائع تاريخ التعامل الثقافي الإنساني[2].

اشكال المثاقفة:

ان العالم قد أصبح اليوم مجرد قرية صغيرة بفضل التقدم الهائل في مجال المواصلات والاتصالات، ومثل هذه المواصلات والاتصالات لا بد أن تؤدي إلى زيادة العلاقات بين أفراد من مجتمعات مختلفة، بل بين هذه المجتمعات نفسها، وهكذا تضاعفت العلاقات بين المجتمعات في الزمن المعاصر بمقدار كبير كما كانت عليه قديما. وعلى اختلاف طبيعة هذه العلاقات التي قد تبدأ بعلاقات

---

[1] سارة بوزرزور، الترجمة وفعل المثاقفة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة السانية وهران سنة 2010/2009 ص 72.

[2] د.محمد خرماش، ابعاد المثاقفة في النقد الادبي المعاصر، مكناس، المغرب، سنة 2008 ينظر: Manahijnaqdia.3oloum.org – MONTADA – F4 – topic – t8 – htm

تجارية (بيع وشراء) او سياسية (تحالف، دفاع مشترك)، إلا انها تنتهي دوما بعلاقات ثقافية وهذا ما نسميه "فعل المثاقفة".

وهكذا فمعنى "المثاقفة" هو ان يستقي شعب جانبا من ثقافة شعب آخر عن إرادة مسبقة منه او بصورة تلقائية طوعية ليضيفه إلى ثقافة الوطنية الخاصة به.

وتلعب "المثاقفة" اليوم أهم دور فيما يسمى حوار الحضارات "إذ أن التقارب الثقافي بين مجتمعين هو الوسيلة الأمثل لتقارب حضارتي هذين المجتمعين وتوطيد علاقات السلم والتعاون بينهما بدلا من الصراع الحربي أو العقائدي. وتأخذ عملية المثاقفة منذ القرن التاسع عشر وما تلاه عدة اشكال أهمها:

1. اعتناق أفراد مجتمع ما ديانة أفراد مجتمع آخر كما حدث بالنسبة لبعض الشعوب الإفريقية التي اعتنقت الديانة الإسلامية نتيجة للفتوحات الجغرافية أو الاستعمارية كما حدث في بلدان إفريقيا الوسطي الفرنسية وإفريقيا الجنوبية البريطانية.
2. تبني أحد البلدان النظام القانوني والقضائي السائد في بلد آخر، والمثال على ذلك تبني الجمهورية التركية الحديثة للقانون المدني السويسري قانونا مدنيا لها بدلا من الشريعة الإسلامية وتبني الجمهورية السورية عام 1949 للقانون المدني المصري لعام 1948 بمثابة قانون مدني لها[1].

ولقانون الجزاء اللبناني اساسا لقانون عقوباتها العام وقانون عقوباتها العسكرية.

3. قد يتبنى المجتمع ما بصوره تلقائية جانبا من الادب الرسمي الفصيح الذي انتجه المجتمع في بلد اخر، وهكذا انتقلت ملحمتا الالياذه والاوديسا من المجتمع اليوناني القديم الى مجتمعات البلدان الاخرى، وكذلك فعلت مسرحيه روميو

[1] د.احسان هندي، المثاقفه وحوار الثقافات، يوميه الثوره السياسيه، مؤسسه الوحده للصحافه والطباعه والنشر، دمشق سوريا، 2009، ص79

وجولييت الإنجليزية ورواية البؤساء الفرنسية وفاوست الألمانية وألف ليله وليله العربية.

4. ما قيل عن الآداب الرسمية يقال عن الآداب الشعبية ايضا، حيث نجد بعض الامثال الشعبية متماثله في اللفظ والمعنى في عشره بلدان متجاورة او متباعدة أحيانا[1].

انواع المثاقفة:

يقوم مفهوم البحث وفقا قواعد المدرستين الانتشارية والوظيفية في التاريخ على اعتقاد بانه: "يجب ان لا تفهم الثقافة على انها مجرده، بل على انها عناصر تجسدها وتحميلها مجموعات بشريه عدة، وتتمثل في جميع مظاهر التعبير الانساني سواء تعلق الامر بالأدب او الفنون او المعتقدات والاخلاق، او تعلق باللباس والسكن والاكل". واعتماد على هذا الفهم تتحدد انواع "المثاقفة"، وانماط كل نوع منها، وقد اختزلها المؤرخون في نوعين واضحين من المثاقفة اضافه الى ما يمكن اعتباره انواع اخرى ولكن لا يزال يشويها الالتباس. ويتم ذلك عبر اليات متعددة منها ما هو سياسي او عسكري او اقتصادي، ومنها كذلك ما هو ثقافي، وعلى هذا الاساس تم تقسيم "المثاقفة" الى نوعين متميزين تم طرحهما على اساس الموقف من المفهوم "الحاجة الثقافية": "المثاقفة الطوعية او التلقائية "المثاقفة" القسرية او القهرية.

أولا: المثاقفة التلقائية:

يرى المؤرخون ان "المثاقفة التلقائية" هي: "أبرز انواع المثاقفة، وهي في العامة تتمظهر في اشكال بسيطة ومحدودة، وأحيانا بدائية تكاد تنحصر في التلاقح الناتج عن الاتصال الحربي او السلمي الذي يراد منه تحقيق مكاسب مباشره لا تتصل بأية ابعاد بنيوية، ومن امثلتها القريبة الحروب التي هدفت للحصول على الخيرات المادية والارباح التجارية.

[1] د. احسان هندي، المثاقفة وحوار الثقافات، المرجع السابق، ص 82 – 83.

ويقصد بها تلك "المثاقفة" التي تدفع باتجاهها اسئلة اللحظة الاجتماعية التاريخية لمحددة التي تعيشها الجماعة البشرية، طارحة حاجتها الثقافية الفعلمية بما يحدد طبيعة تفاعلها الثقافي مع الآخر، وهي تعبر "المثاقفة" الأصل، "والمثاقفة" الطبيعة التي من خلالها انتقلت جميع الفنون والآداب والعلوم عبر اصقاع العالم المختلفة، وعن طريقها تكونت الحضارات والبؤر الثقافية التاريخية. ويرى المؤرخ: "ناثان واشتيل "NATHAN WACHTEL" أن: "بعض هذه المظاهر من "المثاقفة" كانت البشرية قد عرفته قبل ذلك في أمكنة كثيرة في العصور القديمة، ومن بينها ما عرفته الشعوب وأمم منطقة الشرق الأوسط القديم مثل نتائج وآثار لغزوات الفرس والرومان واليونانيين عليها في عصور مختلفة قبل الميلاد من القرون الخمسة بعده"، وتتم ممارسة "المثاقفة التلقائية او الطوعية" عبر المستويات التالية[1]:

1. **مستوى التمثل:** ويعني إذابة المنتج الثقافي الأجنبي وإدخاله ضمن النسيج الثقافي الوطني، حيث يتم طرح الوشائح والروابط المتكاملة الكفيلة باستيعابه بصورة كاملة، بحيث لا يمكن تميزه باعتباره عنصرا وافدا، ومثال ذلك ما حدث للرواية والمسرحية في مصر والعالم العربي، باعتبارهما نوعين أدبيين وافدين بصورة كلية على الثقافة العربية، وكذلك ما حدث للرومانسية والواقعية والواقعية السحرية باعتبارها مذاهبا ادبية وافدة بذلت القمر على هذه الثقافة.
2. **مستوى التكيف:** ويقصد بها التعايش والتجاور، في إطار من عدم الرفض الذي قد لا يعني قبولا تاما، ويتجلى ذلك في موقف الثقافة العربية من الاتجاهات الذائعة الصيت العالمي، ولكنها قد لا تعبر عن الواقع الاجتماعي الثقافي الوطني ولا تنطلق من حاجاته الثقافية، وإن كانت لا تناهض مستقراته ولا تناقض مع مسلماته.

[1] صلاح السروي، المثاقفة وسؤال الهوية – مساهمة في نظرية الأدب المقارن، 2009 .
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article19550

3. **مستوى التحصن والرفض:** والمقصود به عدم التلاؤم على أي نحو مع العناصر الوافدة، بل تعنيها وتجاهلها وحصارها في نقطة منعزلة – ان لم يكن محاربتها و مهاجمتها – وهذا ما ممكن ملاحظته في الموقف من الآداب التي تمثل الرؤى المتناقضة مع المستقرات الوطنية والجمالية من حيث أنها ناتجة عن واقع مغاير في أولوياته الفكرية والجمالية، وتمكن ملاحظة ذلك على نحو تقريبي فالموقف من الأدب الإباحي أو المجترئ على المقدسات، او المواقف من التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني والأحباء المطبعين معه.

ثانيا: المثاقفة القصرية: وتكون هذه "المثاقفة" ملقاة بالإكراه بعد سيطرة شعب او امة على اخرى بواسطة القوة في الحروب، والمقصود بها تلك "المثاقفة" التي تقوم على فرض أنماط سلوكية وأطر معرفية مفهومية لاتتطلبها ولا تسعى إليها الجماعة البشرية المحددة في طورها الاجتماعي التاريخي المحدد، وكذلك تعد من الإملاء الثقافي الذي يدعم اغراضا أخرى تندرج في اطار الهيمنة بأشكالها المتداخلة: العسكرية والسياسية والاقتصادية وتتم هذه "المثاقفة" بشكل مباشر عبر هضم الحقوق السياسية والاقتصادية وتعبيرا المفاهيم الاجتماعية السائدة، وكذلك المس بالشعائر الدينية والأعراف والتقاليد الرائجة للثقافة المستهدفة[1].

ويذكر في هذا السياق النتائج التي ترتبت على هجرات القبائل السامية في عصور ما قبل الميلاد من الجزيرة إلى بلاد ما بين النهرين وأرض كنعان وما بينهما، على المستويات الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية، وانتشار المنتجات الحضارية والثقافية لهذه المجرات حتى بلوغها المناطق المغاربية وما يجاورها من الناطق الإفريقية، حيث لا تزال اللغة الأمازيغية وموروث الثقافة الأمازيغية ماثلا وبحيوية حتى اليوم في هذه المناطق، ويذكر المؤرخ العربي

[1] محمد سليمان، أسئلة الهويات والمثاقفة في عصر العولمة، محمد إبراهيم الدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله، فلسطين، ط1، 2008، ص 85 – 86.

المغربي "ابن خلدون" انه: "كانت هذه الثقافة قد وصلت الى تلك المناطق عندما انتقل الفينيقيون (كنعانيو الشمال) من مصر الى قرطاج واستقرارهم فيها وانتشارهم الى مناطق المحيطة والمجاورة، وانهم اخذوا اسم الامازيغ بالنسبة الى جدهم "مازيغ" احد ابناء "كنعان" الذي نصبت اليه ارض كنعان في الشرق المتوسط بعد استقراره من هجرته فيها.

ضلت ملامح هذا النوع من المثاقفة في منطقتنا العربية القديمة، تعلو في العقود الخمسة الاولى قبل الإسلام، واخذت في بعض الاحيان شكل الاكراه الديني عندما يعتنق الحاكم ديانة فيجر من تحت حكمه من مختلف الاعراق والاثنبات على اتباع تلك الديانة والايمان بها. كما تبين المعطيات التاريخية ان نتائج سيطرة الاوروبيين على الهنود في امريكا الشمالية والجنوبية معا، وهضم حقوقهم الاقتصادية والسياسية، واجبارهم على القبول بقيم ومعرف اجتماعيه جديده، وكذلك المس بشعائرهم الدينية، غداة الاستكشافات الجغرافية الكبرى، هي "مثاقفة الاستقرائية فرضت على سكان البلاد بالإكراه والقوه، واستدل المؤرخون والانتروبولوجيون من الأسئلة المتوقفة الاستقرائية والميدانية" معا على ان مسارها تمكن ان يؤخذ انماط متعددة ومتفاوتة في قدرته وكفاءة تأثيرها البنيوي، التي تكون عاده مختلفة بين زمان واخر ومن مكان الى اخر وبين قوه "مثاقفة" واخرى، ويذكر المؤرخ ناتان واشيل NATHAN WACHTEL ان احد ابرز الانماط التي تكون عليها انواع المثاقفة وهما كما يلي:

1. **نمط الدمج:** الذي يقوم على اقتباس الثقافة المحلية لعناصر من الثقافة الأجنبية وعوامل "مثاقفة" مساعدة على التثاقف دون ان يؤدي ذلك الاقتباس الى تغيير كبير في قيم الثقافة المحلية او يؤدي الى انهيارها، والتغيير المقصود هنا وبدقة ذلك الذي لا يتبرع من "الثقافة المثاقفة" عناصر مكوناتها الأساسية، بحيث

تستطيع العودة الى نمطيتها الاصلي عندما تقتضي معطيات الواقع ضرورة هذه العودة[1].

2. **نمط التمثل:** وهو النمط الاكثر شهره في انواع "المثاقفة"، الذي ينتج عبر تشرب الثقافة المحلية تدريجيا لعناصر تكوين الثقافة الأجنبية وخلق مفاعيل مقتبسه من واقع التفاعل الثقافي لإنشاء قيم ومفاهيم ومعارف سلوك جديده مستلهمه روح وديناميه مضامين العناصر المكتسبة من الثقافة المندمج بها، لتفسح المجال بإمكانيات احلالها محل التقاليد والقيم المحلية والانقياد بشكل تفصيلي لقيم الثقافة الأجنبية المسيطرة.
3. تندرج بين نمطي "الدمج" و"التمثل" في انواع "المثاقفة" انماط اخرى عديده غالبا ما تكون توفيقيا، ويكون تأثير الثقافة الأوروبية فيها مثالا واضحا، فيما يتصل بالسكن والتنظيم السياسي واتباع مذاهب والمعتقدات الجديدة في الدين والعبادة ومفهوم القداسة والشفاعة القدسيين وغيرها.

تتجلى اهم اشكال "المثاقفة القسرية" في العصر الحديث في محاولات القوى الاحتلالية محو اللغات الوطنية وبالتالي الثقافات الوطنية واحلال لغاتها وثقافاتها محلهم، ومن النماذج الصارخة على ذلك ما حاوله الاحتلال الفرنسي في شمال وغرب الافريقيين، ومنها ما تحاوله فعاليات العولمة ان من محاولات الطمس الثقافي، عن طريق ما سمي بصدام الحضارات. ولهذه "المثاقفة" عدة اليات تتحرك عبرها:

أ. **تفتيت الهوية الوطنية:** ويتم ذلك عن طريق اختلاق او ابتعاث الهويات الصغرى بأصولياتها ذات الوعي الزائف اللاالتاريخي، كان يتم تسليط الضوء على اشكال من الثقافة والادب منتميين الى طائفه او منطقه بعينها، بشكل منفصل عن الجامعة الثقافية الوطنية او القومية، مثال ذلك العمل على محاوله احياء اللغة النبوية واختراع الأبجدية للكتابة بها، وترسيخ مفهوم يسمى بالأدب النوبي والثقافة النوبية

[1] محمد سليمان، أسئلة الهوايات والمثاقفة في عصر العولمة، المرجع السابق، ص87.

ومحاوله صرف النظر عن انتمائها الى الثقافة المصرية، وكذلك العمل على احياء اللغة القبطية والحديث عن الادب القبطي او الادب الاسلامي بمعزل عن الادب الوطني المصري[1].

ب. **الإحلال والازاحة:** عن طريق التحكم في برامج التعليم والإعلام والجوائز والترجمة، وهي تلك الممارسات التي تحدد مفهوم "الروائع"، وبالتالي الحكم بالسلب على نحو غير مباشر على الأعمال التي تمثل ما هو مخالف لذلك. ومن قبل ذلك ما يتم من تسليط الأضواء عن طريق تكثيف الاهتمام الإعلامي ومنح الجوائز والقيام بالترجمة على الأعمال الأدبية التي تقوم بنقد و تسفيه الموروثات الثقافية التقليدية، مثل تلك الأعمال المنتمية إلى ما بعرف "بالنسوية Féminisme" التي تهتم بالممارسات الفلكلورية المتعلقة بقضايا المرأة في المجمعات العربية، أو تلك الأعمال التي تطرح نوعا من الجرأة الأخلاقية والسلوكية وتقوم بطرح رؤى مناقضة للعناصر المكونة للأبنية الثقافية التقليدية او السائدة، كل هذه الأعمال يتم النظر إليها باعتبارها تمثل نظرة "استشراقيه" للثقافة الوطنية، ولا تمثل نقدا لعناصر الثقافة الوطنية من خلال الانتماء للثقافة الوطنية ذاتها، إن الاحتفاء بهذه الأعمال يتم على أساسي الخطاب الذي تتبناه، وهو دائما ما يكون مواتيا لمتطلبات الخطاب العوالم الذي تبناه دوائر المركز الأورو- أمريكي بقطع النظر عن قيمتها الفنية قياسا بالأعمال الإبداعية المعاصرة لها.

ت. **خلق الحاجات الثقافية:** وذلك عن طريق طرح الأسئلة التي تنبع من بيئة ثقافية تخص المركز الاورو-أمريكي وتعميها على نحو تنميطي، باعتبارها، ممثلة التوجيهات العالمية والممثلة لروح العصر، ومثال ذلك ما يتم طرحه الآن عن طريق الايديولوجيات الاقتصادية وما بعد الحداثية، وطرح الايديولوجيا الرأسمالية الليبرالية الجديدة باعتبارها إيديولوجيا نهاية التاريخ.

[1] محمد سليمان، أسئلة الهويات والمثاقفة في عصر العولمة، المرجع السابق، ص 87.

وهنا فان الدراسة المقارنة المبنية على اليات "المثاقفة" المتعددة للظواهر الأدبية والثقافية العامة يمكنها أن تسهم في تحقيق رؤية أفضل وتقدير أكثر دقة للاتجاهات التي تصاحب التحولات الجمالية الثقافية العامة، وكذلك الكشف الدقيق عما يمكن أن يمثل نظاما عاما داخل الخصوصية الأدبية الوطنية عبر حقبة تاريخية كاملة، وذلك عبر منهجية تقوم على الكشف عن الخطوط الرئيسية العامة والخاصة للظواهر الأدبية[1].

قنوات المثاقفة:

تعرف الحضارة على أنها أسمى العلائق الإنسانية المثاقفة بالعدالة والمبادئ الأخلاقية والثقافية والجمالية، وهكذا تكون الحضارة هي الجهد الذيا يبذله مجتمع من المجتمعات في خدمة المجتمع البشري في جميع نواحي الحياة المعنوية والمادية. وتمثل الثقافة الجانب المعنوي للحضارة الشكر ذلك أنها تمثل القيم الثابتة والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة، وهذا يعني ان الجوانب الروحية والأخلاقية للحضارة مأخوذة ومكتسبة من الثقافة، فتكون الحضارة أوسع من الثقافة. اما التعدد أو التنوع الثقافي فهو سنة كونية وضرورة اجتماعية وتاريخية وضمان للنهوض الإنساني وارتقاء للحياة، فإذا سلمنا بوجود التعددية وبكونها "الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان"، فلا بد من التسليم بوجود اختلافات وتناقضات وتباينات في الآراء والمعتقدات والمصالح والمرجعيات الايديولوجية. ولقد أصبع الإقرار بالتنوع الثقافي وحمايته قانونا دوليا فقد جاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي آن: "لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامها والمحافظة عليها، وإن من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته، وإن جميع الثقافات تشكل، بم افيها من تنوع خصيب وتأثير مبادل، جزءا من التراث الذي يشترك يا ملكيته البشر جميعا"[2].

---

[1] محمد سليمان، أسئلة للهويات والمثاقفة في عصر العولمة، المرجع السابق، ص 88.

[2] خليل عماد الدين، مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، كولالمبور، مليزيا، 2001، ص 287.

وبما أن الحضارة لا يدركها إلى الوعي بالتغيرات الجمالية والرقي بالأفكار والأخلاق فإن الحضارات لا تتصارع بل تتحاور وتتلاقى للارتقاء بمفهوم الحضارة بعيدا عن الجنس واللون والمكان، والعالم غني بثقافات القارات الخمس والحوار الحضاري هو الصيغة المثلى لتعايشها وانسجامها، فتاريخ البشر سلسلة من التنقلات تقودها في عصر ما حضارة ما، وهكذا كان الانتقال من الحضارة الفرعونية والاشورية والفينيقية إلى الحضارة اليونانية ثم الرومانية فالعربية – الإسلامية والآن الحداثة الغربية، ولقد كان التاريخ مرهونا بتنوع الثقافات وتفاعلها واختلاف آرائها.

ولأن الإنسان مدني بطبعه فلا بد له "بالمثاقفة" والالتقاء بالثقافات الأخرى والاحتكاك منها، فيؤثر ويتأثر بثقافة الآخر مع المحافظة على خصوصيته، وبدلا من صراع الحضارات بصبر حتميا علينا في هذا الوقت الذي يموج فيه العالم في كثير من التحديات، أن تنشد إلى الكشف عن مضامين ثقافية مشتركة بين ثقافات هذه الامم، فتأتي هنا أهمية الحوار في بناء الحضارة الإنسانية للمشتركة والتعايش السلمي الغني بالثقافات المتنوعة والتقارب بين وجهات النظر المتباينة ولتسهيل امر "المثاقفة" كان لابد من وجود "قنوات" تفتح باب الحوار بين الثقافات تحقيق لأهداف "المثاقفة" المنشودة، ومن هذه القنوات لدينا تدريس اللغات الأجنبية وآدابها وهو وسيلة هامة للحوار و التواصل الثقافي في حقول البحث المختلفة، لأن اللغة تساعد على فهم ثقافة الآخر و المحاورة معه، فاللغة عامل هام للتقارب بين الشعوب في حاضنة للثقافة وهي وسيلة للتأثير في العقل في والشعور وأداة الإفهام والتعبير ووعاء العلوم[1].

إذن، توجد قناتان "للمثاقفة "، أولا قناة تعليم اللغات الأجنبية التي تمكن من خلالها التعرف على حضارة اجنبية أخرى، وثانيا ترجمة الأعمال والأعمال الأدبية تحديدا لأنها تبرز الوجه الحقيقي لثقافة امة ما، لكن لتعليم اللغات الأجنبية حدود طبيعية، حيث لا

[1] سها شريف، الحضارة الإسلامية ومد جسور الحوار الحواري، 2009/08/12
http://bookerchmohamed.vwblog.fr

تمكن المرء أن يتعلم كافة اللغات، لهذا تبق "الترجمة أهم قنوات المثاقفة" والحوار بين الحضارات.

اليات المثاقفة:

إذا تحدثنا عن اليات "المثاقفة" على "مستوى الحضارة المكتوبة" والتي تقتضي نقلا للمعارف والافكار عن طريق "الترجمة باعتبارها اهم قناة في المثاقفة" من الثقافة الى اخرى، لان النصوص هي ابداعات ومعالجات لقضايا الإنسانية، كما يرى بذلك **"شعيب خليفي":**

"فكل نص شفوي او مكتوب يتضمن رؤيه خطابا، وتراوح المستويات فيه انطلاقا من درجات التأويل والقدرة على بلورة صورة معينه حول الذات والاخر، خصوصا في النصوص التي لها علاقه بالشخص[1]. هذه الثقافة تملك سجلات ومفاهيم مختلفة تذهب مذهب التجديد والتلقيح لسيرورتها وفعاليتها، عن طريق الترجمة وتبدو امكانية "المثاقفة عبر الية اللغة"، ابلغ واحرص على بلوغ المرام، ذلك ان الاساس في هذه العملية هو الفكر وليس الاشياء المجردة، وانما هي اشياء تربة في محتوياتها الدلالية، بما تستعمله اللغة باعتبارها انتاجا ذهنيا واليه تواصليه بين افراد المجتمع، كمستوى اللغة يبرز مستوى التفكير وفعل التعبير الخاص بكل منظومه لغوي، ومحررا للشعور واللاشعور، يشير "ادوارد سابير" Edward Sapir الى ذلك بقوله ان:

"لغة جماعه بشريه ما، جماعه تفكر داخل تلك اللغة وتتكلم بها، فهي المنظم لتجربتها وهي بهذا تصنع عالمها وواقعها الاجتماعي، وبعباره ادق، ان كل لغة تحتوي على تصور خاص للعالم".

فاللغة اهم الية تنسجم انسجاما دالا مع سيرورة "المثاقفة"، ذلك لعملها على مستوى الفكر والذهن، فهي تحضر لكي تصبح مفهومه ومعقولة على مستوى الثقافة المتلقيه

[1] شعيب حليفي، التدويت والوعي بالأخر، مجلة المناهل، عدد خاص ببن بطوطة، وزاره الشؤون المغربية، العدد 60، يناير 2000، ص190.

للإرث انسان خاص، تدافع بذلك على هويتها، واصالته، وتجتهد في الاشباع الدلالي لمنظومتها الثقافية وبذلك تحمل جاثيات اصولها مختصره عالم المادة في الفاظ والافكار، تتميز في ترميزها، لذلك اختلفت الالسن وتداعي اليها التواصل بين الافراد والجماعات والشعوب نظر لقيمه اهدافها الموجودة في مدى استيعابها لعالم الاشياء والافكار بالنسبة التي تميز العقل[1].

نموذج اخردال على "الية المثاقفة وعملها على مستوى الكتابة"، ويبدو ذلك في ماهيه النصوص وتحريرها بواسطه نقلها من اللغة، الى اخرى عن طريق الترجمة، قصد الاستفادة من معانيها واستثمار افكارها في واقع مغاير، هذا جانب مؤهل بان يخدم" المثاقفة" في توثيق مفهوم الاتصال بين حمولات الثقافية، المحمول على نصوصها مشكلة افعالا ثقافيه تعبر عن نفسها، في الوقت الذي تستجيب لغة اخرى لمحتوياتها ومتطلباتها، بما اوتيت من اطلاع على ما تذود به جمله المعاني المحصلة بلسانها الاصلي، وفي ذلك يبرز فعل التفكير باعتباره المستوى قاعديا مزودا بفهارس تقوم بالمطابقة والانسجام والنقد، فهذا الفعل الذهني هو المؤهل منهجيا في فتح بنيه ذهنية هي بنيه التفكير، وتعامل الذهنية مثل وعاء احتواء لجمله من المعطيات والقيم والسلوكيات في سيرورة التفاعلية مع الواقع، وتبدو الذهنية بوصفها رؤيه خاصة، وهوية للفكر والسلوك عند اتصالها "بالمثاقفة" فإنها تصبح مصدر استثمار للعناصر المنقولة بعد تحليلها على المستوى الداخلي للذات الفاعلية، وفق ما وجدت من فراغات يتم ملؤها من طرف العناصر الوافدة في خصم الجدلية التأثر والتأثير"[2] وبذلك تصبح الذهنية العنصر المقصود بديهيا، لأنه هو الذي يقوم بعمل الاقتباس والاستيعاب. فالذهنية هي مجموعه من القيم والسلوكيات والاتجاهات التي تكون ببنية ذهني، من خلالها تتحدد الافكار والسلوكيات لأفراد المجتمع، فالذهنية بمثابة حقل معرفي، مشكلة من النصف

---

[1] محمد عابر الجابري، تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1992، ص77.

[2] قويدر بن احمد، خليفه دينيه للمثاقفة،

.HTTP://www.alida.org/forums/showthred.php?t=1989

من مبادئ التي هي بدورها عباره عن إطار مرجعي خارجي للمعرفة، فهي مجمل المبادئ الداخلية الواعية والغير الواعية المكونة لسلوك الفرد، فالذهنية قائمه على طاقة تستثمر مقوماتها في تحليل الطموحات الخاصة بكل تجمع. فاذا تحدثنا عن هذه الجدلية بين "المثاقفة والذهنية على مستوى الثقافة"، يقفز الى سطح الوعي نموذج قديم في طابع جديد هو "العولمة"، "عولمة الثقافات" بالمعنى الذي يخدم الأحادية، وبناء على ما سبق فقد جددت الابحاث الجارية على عمليه المثاقفة بشكل عميق، مفهوم الباحثين في ميدان الثقافة، في اعتبار العلاقة الثقافية متبادلة والحالات التي تتم فيها قادت الى وضع التعريف ديناميكي للثقافة. بل و انقلب المنظور، فلم نعد ننطلق من الثقافة لفهم "المثاقفة"، بل من المثاقفة لفهم الثقافة، فليس هناك ثقافة في "حالة صافيه" مشابهة لنفسها باستمرار دون ان تشهد القليل من التأثيرات الخارجية، وعملية "المثاقفة" ظاهرة عالميه حتى لو شاهدت اشكالا ودرجات متنوعة، والعملية التي تشاهدها ثقافه معينه في وضع تماس ثقافي، اي عمليه تفكك بين بنيتها ثم اعاده بناء تلك بنية، هي في الواقع نفس مبدا تطور اية منظومه ثقافيه واية مثاقفه هي عمليه دائما من التفكك والبناء واعاده البناء، اما الذي يتنوع فهو اهميه كل مرحله تبعا للحالات، وربما علينا استبدال كلمه "ثقافه" culture "بالتثقيف" التي تتضمنها كلمه "مثاقفة" à culturation بهدف الإشارة الى هذا البعد ديناميكي للثقافة[1].

[1] شعيب حديفي، التدويت والوعي، المرجع السابق، صفحه 193.

الفصل الثالث: نبذة عن احمد فارس الشدياق

الفصل الثالث: نبذة عن احمد فارس الشدياق

المبحث الأول: احمد فارس الشدياق

- اسمه، نسبه، وفاته
- رحلاته ومؤلفاته
- البيئة العائلية وحياته العلمية

المبحث الثاني: احمد فاري الشدياق بين الثقافتين العربية والغربية

- ثقافة في لبنان
- ثقافة في مصر
- ثقافة في اوروبا

أحمد فارس الشدياق

هُوَ فَارِسُ الشِدْيَاقُ عَيْنَ زَمَانـهِ مَنْ كَانَ فِي نَكْتِ البَلاَغَةِ أَوْحَدَا
جَابَتْ (جَوَاِبُه) البِلَادَ بِأَسْرِهَا وَغَدَتْ لَهَا غَرَرَ المَعَانِي سُجَّدَا
عَرَفَ الجَمِيعَ عُلُّوَ رُتبَةَ عِلْمِهِ وَبِفَضْلِهِ اعْتَرَف الأَحبّةَ وَالعِدَى

فيليب نصر الله طرازي عن يوسف أصاف، هو الباقي[1].

[1] أحمد فارس الشدياق –حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة "، محمد الهادي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، دط، 1989، ج1، ص 13.

الفصل الثالث: نبذة عن احمد فارس الشدياق

المبحث الأول: احمد فارس الشدياق

سنحاول في هذه الصفحات دراسة حياة أحمد فارس الشدياق واستكناه أبعاد حياته التي مرّ بها. وبالرغم من أن الكتابة عن الشدياق ليست بالأمر الجديد وهنا يقول محمد الهادي المطوي: "إن حياة الرجل معروفة مشهورة فليس من فائدة في الرجوع إليها بعد كل ما قيل عنها.

وجوابنا: إننا مع استفادتنا فعلا بما قيل عن حياة الشدياق وظروف حياته وتنقلاته فقد قصدنا من إثارتها من جديد إلى رسم إطار عام للبحث أولا، وتدارك الأخطاء الكثيرة التي تسربت إلى حياته ثانيا، وإلى الكشف عن المظاهر التي لم تبد واضحة أو وقع تجاوزها لدى من سبقونا في البحث ثالثا".

ولهذا حاولنا تحليل شخصية أحمد فارس الشدياق باعتباره مفكرا وأديبا لغويا من رواد اللغة، فلقد حاولنا في هذا الجانب من البحث التَّركيز على نظرته للغة العربية عامة وللدراسات المعجمية خاصة.

فإن البحث في حياة هذا العالم الجليل ليس من باب التكرار وإنما من باب إبراز أحد أعلام النهضة العلمية الحديثة، وهذا ما ذهب إليه محمد الهادي المطوي حيث قال: "قد ازداد رسوخا بأن الشدياق ما يزال في حياته وآثاره موضوعا طريفا للكتابة، وأن الباحثين ما يزالون مطالبين بتلافي الكثير من النقائص التي حفت بو وبآثاره وتفكيرَه في النهضة". فلابد من تصحيح الأخطاء التي شاعت في حياته.
إن الشدياق أحد رواد النهضة الحديثة الذي تألق نجمه في سماء الأدب واللغة، فقد ألقى دلوه بين المبدعين والكتّاب، وبرع في العديد من علوم اللغة.
فمن هو أحمد فارس الشدياق؟

اسمه ونسبه ووفاته

أ. اسمه ونسبه

"هو أحمد فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر من سلالة المقدم رعد بن المقدم خاطر الحصروني الذي تولى جبل كسروان في سوريا سبعا وثلاثين سنة في أوائل القرن السابع عشر للميلاد.

والمقدم "خاطر الحصروني" هو ابن "رعد بن الشدياق" "شاهين المشروقي" الجد الأعلى لجميع الشدايقة المتفرعين إلى ستين فرعا في لبنان وسورية ومصر والعراق، كان نَشَأٌ في حصرون بحبة بشرى إحدى مقاطعات لبنان الشمالية في أوائل القرن الخامس عشر للميلاد. وعلى هذا فإن لقب عائلة فارس يتردد بين الشدياق والحصروني والمشروقي"[1]. ولكن شاع اسم أحمد فارس الشدياق أكثر من الحصروني والمشروقي.

وكلمة الشدياق وردت في مادة (ش.د.ق) من المنجد في اللغة والأدب والعلوم: "ج" شدايقة عند النصارى: من كان أدنى من الكاهن درجة واحدة (يونانية)"[2].

أما الشدياق فقد سمى نفسو بالفرياق وهو "اسم منحوث من كلمتي "فارس" و"الشدياق" بأخذ "فار" من فارس و "ياق" من" الشدياق"[3]. وذلك لحبه وعشقه للعربية. فجعل الفرياق اِسما لكتابه "الساق على الساق فيما هو الفارياق."

---

[1] المرجع السابق، ج1 ، ص 45.

[2] لويس معلوف، دار المشرق، بيروت –2005، ط 41، ص 378.

[3] " الساق على الساق فيما هو الفرياق أو أيام وشهور وأعوام في عجم العرب والأعجام"، أحمد فارس الشدياق، تعليق نسيب وهيب الخازن، دار
. مكتبة الحياة – بتَوت، دت، ط 3، ص 53.

وكلمة الشدياق تعني كذلك الشماس الرسائلي واشتقاقها من اليونانية، وتعني رئيس الشمامسة الكبار. ثم كثر استعمالها فَعَمَّ جميع الشمامسة.

وبناء على هذا التخريج تكون كلمة الشدياق قد شملت كل خادم للكنيسة دون اعتبار المرتبة الدينية، ولكنها بمرور الزمن اكتسبت مدلولا أوسع حتى صارت من ألقاب الشرف التي تطلق على كبار القوم من المتعلمين والكتاب الذين يرتفعون عن طبقة الأميين.

نستخلص مما سبق أن الشدياق كان نصرانياً؛ لأن اللفظة لها مدلولين أولهما ديني يرتبط بالكنيسة والثاني علمي ثقافي تشمل المتعلمين والكتاب فمن أحدهما أو منهما معا أصبحت لقبا عائليا لأسرة الشدياق[1].

وهذا شائع أيضا عند المسلمين حيث يمتزج المعنى الديني والوظيفي باللقب العائلي نحو: الشيخ، الإمام، الكاتب وغيرها.

فالشدياق كان ذا أصل عريق من خير الأنساب وسليل أعرق الأسر اللبنانية التي كان لها ضلع في الحكم والسياسة والعلم كذلك، حيث يقول محمد الهادي المطوي: "إن فارس الشدياق سليل أسرة من أعرق الأسر اللبنانية ومن أكثرها شهرة علما وأدبا"[2]. فالعلم والأدب هما خلف للشهرة لا للمال ولا الجاه. والعلم هو الذي يترك للتاريخ المجال أن يتحدث عن الأسر التي كان أمرها الوحيد هو تحصيل العلم واكتسابه بطرق شتى.

---

[1] ينظر: " أحمد فارس الشدياق –حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العلمية"، ج1، ص 45.

[2] المرجع نفس ه، ج1، ص 46.

ب.مولده

ولد أحمد فارس الشدياق سنة 1804م في عشقوت[1] وهي قرية صغيرة من قرى لبنان، ولكن تاريخ مولد الشدياق اختلفت الآراء حوله، فمنهم من قال ولد سنة 1801 م.

ومنهم من قال سنة 1804م وهذا هو التاريخ الأشهر الذي ذكرته الدراسات والتي ترجمت لحياة أحمد فارس الشدياق[2].

ومنهم من قال ولد سنة 1805م. وهذا التاريخ اعتمده نسيب وهيب الخازن في مقدمة كتاب "الساق على الساق فيما هو الفارياق"[3].

فالشدياق ذكرت له ثلاثة تواريخ لمولده. وكل الآراء التي ذكرت مولده لها دليلها في ذلك.

ت.وفـــاتـه

كانت حياة الشدياق رحلة من بلد لآخر منذ صغره، ومن مذهب لآخر ومن دين لآخر، ومن حضارة إلى أخرى، حتى وافته المنية سنة 1887م في الآستانة ونقل جثمانه إلى لبنان، فقد لازمت الشدياق الكثير من التنقلات والرحلات في حياته ولكنها ظلت تصاحبه حتى بعد مماته، فقد مات في الأستانة ونقل جثمانه إلى لبنان ودفن في مسقط رأسه –الحدث– مع موتى من أسرته، ثم نقل إلى الحازمية

---

[1] كلمة سريانية عشقتو ومعناها الصعبة والوعرة – ينظر: الساق على الساق فيما هو الفرياق –أحمد فارس الشدياق، ص 59.

[2] يُنظر:" أحمد فارس الشدياق –حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة "، محمد الهادي المطوي، ج 1، ص 54.

[3] يُنظر: أحمد فارس الشدياق، ص 62.

قرب بيروت، حيث شيدت له الدولة ضريحا مرموقا على نسق مقامات الباشوات والحكام[1].

وهكذا انطفأ قلم واضع أساس الصحافة، ورائد المعجمية الحديثة والناقد السياسي، والاجتماعي، الذي تحمل الكثير في سبيل أمته ولغته تاركا وراءه أعمالا مترجمة وأخرى محققة ومصنفة تشهد لعلمه سنذكرها في الفصل القادم بشكل من التفصيل.

رحلاته ومؤلفاته

أ. رحلاته

يذكر الشدياق في "الساق على الساق فيما هو الفارياق": أنه كان محبا للسفر، وهو مقيم بمنزله يفكر في صعود الجبال، وخوض البحار، إذ يقول: "بينما كان الفارياق رأسه ورحلاه في البيت كان فكره يصعد في الجبال ويرتقي التلال، ويرتضم في الأوحال، ويخوض البحار، ويجوب القفار. إذ كان أقصى مراده أن يرى منزلا غير منزله وناسا غير أهله، وهو أول عناء في حياته"[2].

فقد ولع الشدياق بالأسفار منذ شبابه، وإذا كان الشدياق قد تعلم من الكتب فإنه كذلك اكتسب الخبرة والتجارب من الأسفار والرحلات وتعرف خلال رحلاته بأكبر العلماء والأدباء وأصحاب الجاه والسلطة[3]. تذكر من أهم رحلاته ما يلي:

- رحل إلى مصر سنة 1826.
- رحل إلى مالطة سنة 1834م.

---

[1] ينظر: "الأعلام"، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت –لبنان، 2007، ط 17، ج 1، ص 193 وينظر: أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره واراءه"، محمد الهادي العلوي، ج 1، ص 137.

[2] أحمد فلوس الشدياق، ص 107.

[3] ينظر: "أعلام العرب أحمد فارس الشدياق"، محمد عبد الغني حسن، من 49 و50.

- ثم رحل إلى لندن.
- ثم رحل إلى أوربا: (فرنسا، انجلترا، بريطانيا وتركيا).
- ثم رحل إلى تونس سنة 1857م.
- ثم رحل إلى العاصمة العثمانية ومكث فيها حتى سنة 1887م[1].

فأضافت له تلك الرحلات معاني الثقافة وسعة العقل بأنوار المعارف الحسية والنظرية، فواجه العلماء والمعالم الحضارية في تلك البلدان فارتقى في العلم والتأليف والإبداع[2].

أسفر سعي أحمد فارس الشدياق خلال سنوات الأخذ والعطاء عن ثمار ظلت ومازالت غذاء للطلاب والباحثين في ميدان اللغة عامة وفي المعاجم خاصة وقد تجلت تلك الثمار في مؤلفاته القيمة والعديدة، وهي تصانيف مختلفة المواضيع، ولكن أشهرها كانت حول الدراسات المعجمية.

فامتاز أحمد فارس الشدياق بإتقان فني في النظم والنثر والإجادة في كليهما، وهنا نستدل بقول جرجي زيدان يقول: "فتراه إذا نظم أو نثر إنما يفعل ذلك عن سعة وارتياح، كأنه وعى ألفاظ اللغة في صدره، وأخذ عليها عهدا أن تأتيه صاغرة حالما يحتاج إليها فإذا خطر له معنى سبكه في قالب أن يتكلف في ذلك مشقة أو ترددا فترى كتاباته طيلة طبيعية ليس فيها شيء من اللفظ لائقا به، بغير من التكلف أو التقصر، على كونها بليغة فصيحة؛ والسبب في ذلك حدة ذهنه، وقوة ذاكرته، وسعة اطلاعه، وكثرة محفوظته، مع حرية قلمه"[3].

---

[1] ينظر: "معجم الولدين"، رضي كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993، ج 1، ص 225.

[2] ينظر: "الموسوعة العربية"، سكارلاني أليساندرو، مع 11، ص 616.

[3] "تراجم مشاهير الشرقي في القرن التاسع عشر"، ج 2، ص 130.

وهذا ما سنلمسه في مؤلفاته التي خلفها لنا، وقبل الشروع في مؤلفات أحمد فارس الشدياق لابد من ذكر بعض خصائصه في الكتابة التي تمتاز أولا بالسلاسة وارتباط المعاني ببعضها البعض، واتساقها مع التوسع في التعبير، وتتبع الموضوع إلى جزئياته مع مراعاة الموضوع الأصلي والعودة إليه، وهذا الأسلوب اختص به الشدياق في كتاباته كلها، وتمتاز كتاباته بحسن اختياره للألفاظ العربية وبلاغتها وحسن سبكها تتجلى فيها البساطة والسهولة[1].

امتاز أسلوبه بخصائص أخرى حددها لنا أنيس المقدسي حيث قال: "اجادته في إلباس المعاني ما يناسبها من الألفاظ، دقته في الوصف وجرأته في النقد وبراعته في التهكم"[2].

ب. مؤلفاته

- **المؤلفات المطبوعة**

- **الجاسوس على القاموس**

قال يوسف إليان سركيس في هذا الكتاب أنه: "كتاب ممتع حافل بالفوائد اللغوية وضعه لاستدراك ما فات المجد[3] من قاموسه ورد ما وهم فيه من الألفاظ إلى أصولها وهو يشتمل مقدمة وأربعة وعشرين نقدا وخاتمة"[4].

ألف الشدياق هذا الكتاب في عاصمة الخلافة العثمانية، وهو من مطبوعات الحوالي سنة 1299هـ – 1881م[5].

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 103.

[2] "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة"، دار العلم للملايين، بيروت –لبنان، ط 6، 2000، ص 161.

[3] بقصد الفيروز آبادي (ت 817م) صاحب المعجم اللغوي القاموس المحيط.

[4] المرجع السابق، ص 1105.

[5] ينظر: "أعلام العرب –أحمد فارس الشدياق، محمد عبد الغني حسن، ص 195.

احتوت المقدمة على تسعة وثمانين صفحة[1]، وهي عبارة عن نظرة عامة في المعاجم العربية وما يأخذ عليها، ومن بين المعاجم التي ذكرها الشدياق: القاموس المحيط الذي دارت حوله الدراسة، ومعجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) و"تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري (ت 398هـ) و"المحكم" لابن سيده (ت 458م) و"العباب الزاخر واللباب الفاخر" للصغاني (ت 650هـ) و"لسان العرب" لابن منظور (ت 711هـ) وغيرها. يقول أنيس المقدسي: "شملت المقدمة على التنبيه إلى ما في كتب اللغة (المعاجم) عموما من تشويش في ترتيب الأفعال ومشتقاتها، وما ينقصها من تفسير الألفاظ حسب أصول وضعها كان يقال مثلا: إن القرية أصلها من قرا الماء أي تجمع فالقرية في الأصل مكان تجمع الماء"[2].

تلي المقدمة انتقادات لعبارات القاموس وخطته وتعريفاته ومعاني ألفاظه واشتقاقاتها وأوهامه في تعريف المسميات إذ جمعها أحمد فارس الشدياق كما ذكرنا سابقا في أربع وعشرين نقدا.

فكان **النقد الأول:** "في الكلام على خطبة المصنف" هذا النقد أفرده لخطبة القاموس. من الصفحة تسعين إلى الصفحة ثلاثين بعد المئة حسب طبعة القسطنطينية[3].

- **النقد الثاني:** "في ايهام عبارة القاموس ومجازفتها وفيه القلب والإبدال" من الصفحة الثلاثين بعد المئة إلى الصفحة ثمانية وثمانون بعد المئة.

---

[1] حسب طبيعة القسطنطينية سنة 1299م.

[2] الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، ص 171.

[3] ينظر " الجاسوس على القاموس"، أحمد فارس أفندي، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1299هـ، ص 90.

- **النقد الثالث:** "في إبهام عبارة القاموس في المصدر والفعل والمشتقات والعطف والجمع والمفرد والمعرب وغير ذلك". من الصفحة ثمانية وثمانون بعد المئة إلى الصفحة الثالثة عشر بعد المئتين.
- **النقد الرابع:** "في قصور عبارة المصنف وإبهامها وغموضها وعجمتها وتناقضها" من الصفحة الثالثة عشر بعد المئتين إلى الصفحة الثانية والستين بعد المئتين.
- **النقد الخامس:** "في ذهوله عن نسق معاني الألفاظ على نسق أصلها الذي وضعت له بل يقحم بينها ألفاظا أجنبية تبعدها عن حكمة الواضع". من الصفحة الثالثة والستون بعد المئتين إلى الثامنة والستين بعد المئتين.
- **النقد السادس:** "في تعريفه اللفظ بالمعنى المجهول دون المعلوم الشائع". من الصفحة الثامنة والستون بعد المئتين إلى الصفحة السبعين بعد المئتين.
- **النقد السابع:** "فيما قيده في تعاريفه وهو مطلق". من الصفحة السبعين بعد المئتين إلى الصفحة الخامسة والسبعين بعد المئتين.
- **النقد الثامن:** "في تشتيته المشتقات وغيرها". من الصفحة الخامسة والسبعين بعد المئتين إلى الصفحة السادسة والثمانين بعد المئتين.
- **النقد التاسع:** "فيما أهمل وضع الإشارة إليه والخطأ موضع إيراده". من الصفحة السادسة والثمانون بعد المئتين إلى الصفحة الثالثة والتسعون بعد المئتين.
- **النقد العاشر:** "فيما ذكره مكررا في مادة واحدة". من الصفحة الثالثة والتسعون بعد المئتين إلى الصفحة السابعة والتسعون بعد المئتين.

- **النقد الحادي عشر:** "في غفوله عن الأضداد". من الصفحة الثامنة والتسعون بعد المئتين إلى الصفحة التاسعة والتسعون بعد المئتين.
- **النقد الثاني عشر:** "في غفوله عن القلب والإبدال". من الصفحة التاسعة والتسعون بعد المئتين إلى الصفحة الواحدة بعد الثلاثمائة.
- **النقد الثالث عشر:** " في تعريفه الدوري والتسلسلي". من الصفحة الثانية بعد الثلاثمائة إلى الصفحة الثلاثة بعد الثلاثمائة.
- **النقد الرابع عشر:** "فيما ذكره من قبيل الفضول والحشو والمبالغة واللغو". من الصفحة الثالثة بعد الثلاثمائة إلى الصفحة الواحدة وعشرون بعد الثلاثمائة.
- **النقد الخامس عشر:** "في خلط الفصيح بالضعيف والراجح بالمرجوح وعدوله عن المشهور". من الصفحة الواحدة والعشرون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة.
- **النقد السادس عشر:** "فيما لم يخطئ به الجوهري مع مخالفته له وفيما خطأه به ثم تابعه عليه وفيما خطأه به تعنيتا وتحاملا". من الصفحة السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة.
- **النقد السابع عشر:** "فيما قصر فيه المصنف عن الجوهري". من الصفحة السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة السابعة والأربعون بعد الثلاثمائة.
- **النقد الثامن عشر:** "في أنه يذكر بعض الألفاظ الاصطلاحية ويهمل بعضها". من الصفحة الثامنة والأربعون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة التي بعدها.
- **النقد التاسع عشر:** " في نبذة من الألفاظ التي ذكرها في مادتها فلتت أعنى أنه فسر بها ما قبلها أو علق المعنى عليها من غير أن يتقدم لها ذكر". من

الصفحة التاسعة والأربعون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة الخامسة والخمسون بعد الثلاثمائة.

- **النقد العشرون:** "فيما ذكره في غير موضعه المخصوص به أو ذكره ولم يفسره". من الصفحة الخامسة والخمسون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة الثانية والسبعون بعد الثلاثمائة.
- **النقد الحادي والعشرون:** "فيما ذكره في موضعين غير منبه عليه وربما اختلفت روايته فيه". الصفحة الثانية والسبعون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة.
- **النقد الثاني والعشرون:** "فيما وهم فيه لخروجه عن اللغة". من الصفحة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة إلى الصفحة أربعمائة وأربعة.
- **النقد الثالث والعشرون:** "في خطأ صاحب القاموس وتحريفه وتصحيفه ومخالفته لأئمة اللغة". من الصفحة أربعمائة وأربعة إلى الصفحة خمسمائة وثلاثة عشر.
- **النقد الرابع والعشرون:** "في غلطه في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر خاصة". من الصفحة خمسمائة وثلاثة عشر إلى الصفحة خمسمائة وثمانية وعشرون.

وبعد هذا النقد تأتي الخاتمة من الصفحة خمسمائة وتسع وعشرون إلى ستمائة وواحد وسبعون.

أوعى فيها ما جاء من الأفعال بزنة افتعل لازما ومتعديا[1].

[1] ينظر: "معجم المعاجم"، أحمد الشرقاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1993م، ج 1، ص 240.

وبعد الخاتمة تأتي صفحة قال فيها أحمد فارس الشدياق: "الحمد لله عالم الغيب * المنزه عن كل عيب * المتفرد بجلاله وكماله * الذي لم يحل عن النقد غير أسمائه وصفاته وأفعاله * والصلاة والسلام على حبيبه محمدا الذي ما ساء قط"[1].

إلى أن قال: "والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى أله وصحبه والتابعين"[2].

وتبعت هذه الصفحة جملتين تحدث فيهما عن تواضعه فقال:

تحريت في الجاسوس نصحا لكل من يؤلف أرجو الأجر من عالم الغيب
فإن كان فيه بعض شيء يعيبه فكل كتاب خط لم يحل من عيب[3]

وهذه هي سمة العلماء مهما علا شأنهم يبقى التواضع يجوب حياتهم وشخصيتهم، حتى أن بعض العلماء ألفوا كتب ولم يصرحوا بأنها لهم ومن صنعهم فكان غرضهم الأساسي خدمة اللغة العربية والعلم فقط.

يعتبر الجاسوس على القاموس من أعظم الأعمال التي ألفها أحمد فارس الشدياق لأنه جمع فيها انتقادات للمعاجم العربية عامة والقاموس خاصة وحاول أن يستدرك تلك الزلات وأن يصححها، لأنه كان من محبي اللغة العربية. فخلف أحمد فارس الشدياق للغة الضاد مجدا عظيما وتراثا خالدا للأجيال، يقول حسين نصار:

---

[1] "الجاسوس على القاموس"، ص 673.

[2] المرجع نفسه، ص 674.

[3] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

"أن الجاسوس على القاموس من أحسن الكتب التي نقدت القاموس والمعجمات العربية عامة"[1].

- سر الليال في القلب والإبدال:

يقول عبود صقر في هذا الكتاب: "حقا إنك متعب يا شدياق! فلو وضعنا معاجم اللغة كلها في كفة، وسر الليال في كفة لشالت في الميزان"[2]. ومن هذه المقولة تتجلى قيمة هذا الكتاب بالرغم من أن هذه المقولة فيها نوع من المبالغة وعلو مكانة الكتاب بين المعاجم العربية ومرد هذه المبالغة فيما يشتمل عليه الكتاب من معلومات تدور حول اللغة العربية وما ذكرنا ذلك إلا ليتضح أكثر أهمية الكتاب ليس إلا، لأن المعاجم العربية كلها كذلك خدمت اللغة العربية ولها مكانة علمية بارزة.

سبب التسمية: يقول الشدياق: "إنما هو سر كشفه لي الباري سبحانه وتعالى في بعض الليالي الشديدة، والنفس قانطة من الفرج، ومتمنية اللحاق بمن درج، ولذلك سميت هذا المؤلف (سر الليال في القلب والإبدال)، وكان الأولى أن يسمى بأسرار اللغة، أو أسرار الكلام، ولكن هكذا جرت التسمية فلم أعدل عنها لاعتقادي أنها جرت على الوجه الذي جرى عليه الكتاب، ولأن الناس يؤثرون علم سر الليل على علم سر اللغة"[3]. وغايته من تأليف كتابه هي الوصول إلى علم أسرار ألفاظ اللغة لفظة لفظة[4].

سر الليال في القلب والإبدال هو كتاب لغوي تحليلي كتبه الشدياق في الأستانة العلية لثلاثة مقاصد:

---

[1] المعجم العربي نشأته وتطوره"، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط 1، 1988م، ج 1، ص 03.

[2] "في المعجمية العربية المعاصرة"، ص 27.

[3] "سر الليال في القلب والإبدال"، تحقيق محمد الهادي بن الطاهر المطوي، ص 22.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

أولا: لسرد الأفعال والأسماء التي هي أكثر تداولا وأشهر استعمالا وتنسيقا بالنظر إلى التلفظ بها لإيضاح تناسبها وإبداء تجانسها وكشف أسرار معانيها وأصل مدلولاتها.

ثانيا: إيراد الألفاظ المقلوبة والمبدلة، ويندرج في ذلك الألفاظ المترادفة.

ثالثا: استدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ أو مثل أو إيضاح عبارة أو نسق مادة[1].

يقول حسين نصار: "أن الشدياق لم يعن بنقد القاموس في جاسوسه وحده بل خصه بالنقد أيضا في مقدمة سر الليال، وصب نقوده عليه ومثل لكل منها مع الاختصار"[2]. وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على كفاءة أحمد فارس الشدياق وقدرته الفائقة على الصبر في التمحيص والثبات في الجمع، والعمق في الوعي اللغوي، وإدراك أسرار العربية.

و "سر الليال يشتمل على جزءين طبع أولهما في الأستانة سنة 1884م، ولا يزال الثاني مخطوطا"[3]. ويشمل على نحو ستمائة صفحة بقطع كبيرة[4].

<u>وصف الصفحة الأولى من الكتاب:</u>

يصف محمد الهادي بن الطاهر المطوي هذه الصفحة بقوله: "في أعلى الصفحة الأولى رسمت لوحة لأشكال هندسية في طرفيها شكلان نباتيان: وفي الوسط مستطيل كتب في وسطه على سطرين: "هذا كتاب سر الليال" وخارج هذا الشكل وتحته يوجد: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم تحته في سطرين هذا كتاب سر الليال في القلب والإبدل تأليف العبد الفقير إلى ربه الرزاق أحمد فارس الملقب

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 40 – 48 – 63.

[2] "المعجم العربي نشأنه وتطوره"، ج 1، ص 489.

[3] "أعلام العرب أحمد فارس الشدياق"، محمد عبد الغني حسن، ص 195.

[4] ينظر: "تراجم مشاهير الشرق"، بحرجي زيدان، ج 2، ص 104.

بالشدياق قال: (الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان العرب الذي لا بعد له لسان في البلاغة والبيان ...)[1].

فكتاب سر الليال والإبدال مبني على النظرية الاشتقاقية[2]، وتنقسم هذه النظرية إلى أربعة أقسام وهي:

"**الأساس الأول:** هو محاكاة الأصوات الطبيعية"[3].

"**الأساس الثاني:** هو زيادة المبنى على زيادة المعنى"[4].

"**الأساس الثالث:** هو القيمة المعنوية للصوت"[5].

"**الأساس الرابع:** هو القلب"[6].

"وكان لصدور كتاب (سر الليال في القلب والإبدال) صدى في الأوساط اللغوية العربية، واحتفال مما جاء فيه من تنظير، وبحث عن أصول الكلمة العربية، وترتيب جديد يهدف إلى تأصيل هذه الكلمة منذ نشأتها الأولى. وعلى الرغم من هذا الاحتفال لم يعدم الكتاب من تصدى له بالنقد والتجريح. وهو ما دعا الشدياق إلى الدخول في معارك لغوية لتبين أصول نظريته ووجاهة صحتها[7].

فهناك "موقفان اثنان: الأول يرى أن كتاب سر الليال هو من نوع الاشتقاق الأكبر والثاني يذهب إلى أنه من الإبدال"[8].

---

[1] "سر الليال في القلب والإبدال"، ص 09.

[2] ينظر: "في المعجمية العربية المعاصرة"، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

[4] المرجع السابق، ص 32.

[5] المرجع نفسه، ص 34.

[6] المرجع نفسه، من 36.

[7] "سر الليال في القلب والإبدال "، تحقيق الهادي المطوي، ص 67.

[8] المرجع نفسه، ص 67.

و"يعتبر الشدياق من العلماء المحدثين الذين خاضوا في موضوع الإبدال في معجمه سر الليال في القلب والإبدال"[1].

فالعنوان يحتوي على ظاهرتين لغويتين: القلب والإبدال التي ألف حولهما العديد من المؤلفات أمثال يعقوب بن السكيت في كتابه القلب والإبدال والزجاجي (ت337) في كتابه "الإبدال والمعاقبة والنظائر"، وأبو الطيب اللغوي (ت351) في كتابه الإبدال[2] وغيرهم.

- **الساق على الساق فيما هو الفارياق أو أيام وشهور وأعوام في عجم العرب والأعجام:**

هكذا ورد العنوان كاملاً "وهو كتاب تجلت فيه عبقرية الشدياق في اللغة والأدب والتحليل ووصف الخطرات والنوازع، والسيرة الذاتية، وأدب الرحلات، والتهكم برجال الدين وكل ذلك وغيره على أسلوب لا عهد للعربية به، وعلى الرغم من القيمة العلمية والأدبية لهذا الكتاب فإن فيه أحماضا وافحاشا ومجونا ووصف كثير من مسائل الجنس مما كان سببا في الحملة عليه ولومه على تأليفه على هذه الصورة، وقد طبع في باريس سنة 1855م ثم طبعه يوسف توما البستاني طبعة مشوهة سنة 1919م، وفي سنة 1920م طبع طبعة ثالثة على نفقة المكتبة التجارية"[3].

---

[1] "الجهود المرجعية لابن جني في ضوء اللسانيات الحديثة"، بوشية عبد القادر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص لغة عربية، كلية الآداب، 2012 – 2013، ص 169.

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص169.

[3] "أعلام العرب أحمد فارس الشدياق، محمد عبد الغني حسن، ص 195 و196.

وطبع طبعة رابعة قامت بها دار مكتبة الحياة سنة 1966م بتقديم وتعليق الشيخ نسيب وهيب الخازن وفيها فهرسة تحليلية لأبواب الكتاب والأعلام والأماكن والمدن والبلاد وقد جاءت كالأولى مشتملة على ما دفع حذفه في الثانية والثالثة.

وهذه الطبعة هي التي اطلعنا عليها وهي موجودة بالمكتبة والحمد لله أننا تحصلنا عليها. وهناك طبعة خامسة هي التي أشرف عليها عماد الصلح وحذف منها الاستطرادات اللغوية وشروحها وفهارسها وعددا من الأبيات والقصائد الشعرية[1].

احتوت الطبعة الرابعة على سبع مائة واثنين وأربعين صفحة، احتوت الصفحة الأولى على عنوان الكتاب والمؤلف ودار النشر والبلد، والصفحة الثانية صورة الشدياق جالسا على كرسي يضع طربوشا[2].

ذكرنا سابقا أن كتاب الساق على الساق كتاب في السيرة الذاتية والأسفار التي قام بها. ويذكر جرجي زيدان أنه: "وضعه لانتقاد جماعة الإكليروس إنتقاما لما فعلوه بأخيه أسعد بأسلوب جديد لم يسبقه إليه أحد في اللغة العربية ... ويورد في أثناء الكلام إلى مجموعة من الألفاظ المترادفة في كل موضوع[3].

فاتحة الكتاب:

هذَا كِتَابِي لِلْظَرِيفِ ظَرِيفًا ... طَلِقَ اللِّسَانَ وَلِلْسَخِيفِ سَخِيفًا

أَوْدَعْتُوُ كَلِمًا وَأَلْفَاظًا حَلَتْ ... وَحَشَوْتُوه نقَطًا زَهتْ وَحُرُوفًا

وَبَدَاهةً وَفُكَاههةً وَنزَاهةَ ... وَخَلاَعَةً وَقَنَاعَةً وَعُزُوفًا

كَالجِسْمِ فِيهِ غَيْرَ عُضْوٍ تَعْشَقُ ... المَسْتُورَ مِنْهُ وَتَحْمَدُ المَكْشُوفَا

فَصَّلْتهُ لَكِنَ عَلَى عَقْلِي فِمَا ... مِقْيَاسُ عَقْلِكَ كَانَ لِي مَعْرُوفَا

[1] ينظر: "أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه"، محمد الهادي المطوي، ج 1، ص 195.

[2] "الساق على الساق فيما هو الفارياق"، أحمد فارس الشدياق، ص 01.

[3] "تاريخ ادب اللغة العربية"، ج4، ص 236.

قَعَّرْتُهُ بِمَحَافِرِ الأَفْكَارِ كَيْ يَسِعَ الكَلاَمَ وَسِمَتُهُ تَجْوِيفَا
لَفَّقْتُهُ وَخَصَفْتُهُ بِيَدِي فَقُلْ نِعْمَ الكِتَابُ مُلَفَّقَا مَخْصُوفَا
أَفْرَغْتُ فِيهِ كُلَّ حِبْرٍ رَاقَه وَلَوُ بِرَيْتِ مِنَ اليَرَاعِ أَلُوفَا
وَكَأَنمَّا بِيَدَيَّ قَدْ نمَّقْتُهُ حَتَّى أَتَى مُسْتَحْكَمًا مَرْصُوفَا
أَلَّفْتُهُ اللَّيْلُ أَسْوَدُ حَالِكٌ فَلِذَاكَ جَاءَ مُسْخَمًا مَسْجُوفًا

الى ان قال:

إِنّي أَرَى كَالرِّيحِ فِي أُذُنيْكَ عَرَ فَ نَصِيحَتِي رَاحَتُ سَدَى وَطَلِيفًا[1]

ويضم هذا المؤلف أربعة كتب:

الكتاب الأول: يحتوي على عدة عناوين منها:

- في إثارة رياح.
- في انتكاسة حافية وعلامة واقية.
- في نوادر مختلفة إلى العنصر المعنون ب: في الفرق بين السوقيين والفرجيين.

الكتاب الثاني:

- "في دحرجة جلمود" إلى "معجزات وكرامات."

الكتاب الثالث:

- من "في إضرام أثون" إلى "في سرقة مطرانية."

الكتاب الرابع:

- من "في إطلاق بحر" إلى "في نبذة مما نظمه من القصائد والأبيات في باريس ولندرة ووداع الفارياق."

[1] "الساق على الساق فيما هو الفارياق"، أحمد فارس الشدياق، ص 79 – 83.

واحتوى الكتاب على "الفرياقيات" وهي أربع: في فراق زوجته تقع في سبع صفحات منها:

أَفِي النَّاسِ مِثْلِي فِي مَقَامِ فُؤَادِهِ وَفِي غَيرِهِ جُثْمَانِه وَاجِدَ الفَقِير
فَإِنْ كَانَ لِي مِنْكُمْ كِتَابٌ لِتَمَتِه وَأَقْرَرْتُوُ بعَدَ ذَاكَ عَلَى كَبِدِي

*

سَافَرَ ثمُّ لِلْبَرْءِ مِمَا نَالَكُم فَمَتَى بِغُرْبِكُمْ إِبْرَائِي
يَا مُنْكِرًا لِحَقِيقَةِ الغُولِ اعْتَقِدْ أَنَ النَوَى بِيَ فِي الحَقِيقَةِ غُولِ

وهكذا ينتهي الكتاب الرابع ويليه ما سماه المؤلف "دنب الكتاب"، حيث ينتقد الشدياق في 21 صفحة "أعلام الرؤوس العظام الأساتيذ الكرام مدرسي اللغات العربية في مدارس باريس"[1].

- **اللفيف من كل معنى طريف: أو تعليم العربية لغير الناطقين بها:**

وهو من الكتب المدرسية لتعليم العربية لغير الناطقين بها، وإن دل على شيء، إنما يدل على حرص الشدياق الشديد على نشر اللغة العربية والحفاظ عليها فألف في ميادينها المختلفة، حيث قال فيه

جرجي زيدان: "كان متبحرا في علوم اللغة".[2]

فهذا الكتاب هو كتاب "في الأدب"[3]. "لتعليم أولاد كتاتيب اللغة العربية وتمرينهم وتسهيل قراءاتها على من يرغب في تعلمها في وقت قريب، دون تصعيب، وهو يحتوي على حكايات ظريفة وقصص لطيفة ونكت أدبية"[4].

---

[1] الرجع السابق، ص 44.

[2] "تاريخ آداب اللغة العربية"، ج 4، ص 121.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ج 4، ص 422.

[4] "اللفيف في كل معنى طريف"، أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، 1299هـ، ط 2، ص 212.

جمع الشدياق في هذا الكتاب "حكم مفيدة وكلم سديدة وأمثال أدبية وحكايات تهذيبية ونوادر تفكيهية ونكات لهوية، يتفكه في حدائقها الخاطر ويتنزه في روانقها الناظر"[1].

الكتاب ضم ثلاثة أقسام:

الأول: يشمل على خرافات موضوعة.

الثاني: على أدبيات من جد وهزل.

الثالث: على ذكر بعض المشاهير من العرب المتقدمين والمتأخرين"[2].

طبع الشدياق الجزء الأول حيث قال في مقدمة الكتاب من الطبعة الأولى التي طبعت في مالطة سنة 1839: "اقتصرت على طبع الجزء الأول منه فإن سنحت فرصة لطبع الباقي كان غاية المأمول وقد سميته "باللفيف من كل معنى طريف"[3]، وذكره يوسف سركيس في "معجم المطبوعات العربية والمعربة" باسم (اللفيف، في كل معنى لطيف)[4].

حيث قال: "أنه كتاب في الأدب والمترادفات – مالطة 1839م – طبع في مطبعة الجوائب 1300هـ"[5].

- **الواسطة في معرفة أحوال مالطة:**

"وهو في وصف رحلته إلى جزيرة مالطة حيث أقام بها أربعة عشر عاما، وقد طبع في مالطة أول مرة سنة 1834م، أي بعد شهور من إقامته بها أما طبعته الثانية فكانت في الجوائب بالقسطنطينية سنة 1881م"[1].

---

[1] المرجع نفسه، ص 04.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 04.

[3] المرجع نفسه، ص 04.

[4] "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، ص 1107.

[5] المرجع السابق، ص 1107.

قال الشدياق في مقدمة هذا الكتاب: "فعن لي أن أظهر ما بطن منها وأكشف مخبأها لمن فيها أو عنها، فألفت فيها كتابا سميته (الواسطة في معرفة أحوال مالطة)"[2]. ويقع هذا الوصف في 77 صفحة، يحتوي هذا الكتاب على مقدمة: الواسطة في معرفة أحوال مالطة المشهورة.

واحتوى على سبعة فصول:

الفصل الأول: في تخطيط مالطة معربا[3] حيث دارت في هذا الفصل عن موقع مالطة الجغرافي و"يستهل بما عرفه من أحوالها الجغرافية مقابلا بينها وبين سواها من حيث المناخ والزراعة"[4].

الفصل الثاني: "في هواء مالطة ومنازهها وغير ذلك"[5].

الفصل الثالث: "في فالتة[6] قاعدة جزيرة مالطة"[7].

الفصل الرابع: "في عادات المالطيين وأحوالهم وأخلاقهم وأطوارهم"[8].

الفصل الخامس: "في الإنجليز وحكومتهم بمالطا"[9].

الفصل السادس: "في موسيقى أهل مالطة وغيرهم"[10].

الفصل السابع: "في لغة أهل مالطة"[1].

---

[1] "أعلام العرب أحمد فارس الشدياق"، محمد عبد الغني حسن، ص 196.

[2] "الواسطة في معرفة أحوال مالطة"، أحمد فارس الشدياق، مؤسسة هنداوي، القاهرة – مصر، ص 08.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 09.

[4] "الفنون الأدبية وأعلامها"، أنيس المقدسي، ص 155.

[5] المرجع نفسه، ص 15.

[6] هي مدينة مسماة فالتة بناها أحد أمراء الإفرنج وسماها باسمه وذلك سنة 1576م. ينظر: "الواسطة في معرفة أحوال مالطة"، أحمد فارس الشدياق، ص 09.

[7] المرجع نفسه، (الواسطة)، ص 21.

[8] المرجع نفسه، ص 35.

[9] المرجع السابق، ص 49.

[10] المرجع نفسه، ص 55.

وهكذا تم هذا الكتاب إذ لم يترك الشدياق شيء في هذه الجزيرة وسكانها إلا أبانه وانتقده[2]. فهذا هو أسلوب الشدياق الذي امتاز به في كتاباته حيث يقول أنيس المقدسي: "الشدياق دقيق الملاحظة بارع الوصف لا يكاد يفوته شيء، وقد وهب مقدرة فائقة في التعبير اللغوي والتحليل الفكري وأسلوبه في هذا الكتاب سهل لا تعمل فيه ولا تقليد"[3].

- **كشف المخبأ عن فنون أوروبا:**

بعدما أقام الشدياق في مالطة أربع عشرة سنة، رحل إلى بلاد الإنجليز وكان ذلك سنة 1848م. ألف هذا الكتاب "وطبع في تونس سنة 1283هـ – 1877م، ثم طبع طبعة ثانية بالأستانة سنة 1299هـ وصفحاته تبدأ من ست وستين إلى ثلاثمائة وواحد وستين صفحة. فقد طبع مع الواسطة في مجلد واحد، وهو يصف رحلته في انجلترا وفرنسا. ويعد هو وكتاب مالطة من أمتع كتب الرحلات في الأدب الحديث وأقنعها وصفا وأبعدها عن الملل"[4].

احتوى هذا الكتاب على مقدمة وأربعة فصول:

الفصل الأول: "من مالطة إلى إنجلترا"[5].

الفصل الثاني: "السفر إلى فرنسا"[6].

الفصل الثالث: "الكلام على لندن أو لندرة"[7].

الفصل الرابع: "فصل في الستي"[1].

---

[1] المرجع نفسه، ص 73.

[2] ينظر: "تراجم مشاهير الشرق"، جرجي زيدان، ج 4، ص 97.

[3] "الفنون الأدبية وأعلامها"، ص 155.

[4] "أعلام العرب أحمد فارس الشدياق، محمد عبد الغني حسن، ص 196.

[5] "كشف المخبأ عن فنون أوروبا"، أحمد فارس الشدياق، مؤسسة الهنداوي، القاهرة –مصر، ص 11.

[6] المرجع نفسه، ص 165.

[7] المرجع السابق، ص 241.

فالكتاب "يصور رحلة الشدياق إلى أوروبا واحتكاكه بمظاهر الحضارة الأوروبية الحديثة"[2].

- **كنز الرغائب في منتخبات الجوائب:**

يضم "سبعة أجزاء: الأول يشمل على مقالات أدبية أخذ إلى غاية 255 صفحة، الثاني يحتوي على ذكر حرب جرمانية مع فرنسا 256 صفحة، الثالث يحتوي على بعض قصائد نظم المؤلف 320 صفحة، ويشمل الرابع على قصائد الأدباء في مدح صاحب الجوائب 170 صفحة، الخامس يشمل حوادث تاريخية ووقائع دولية من سنة 1277 إلى 1293، 360 صفحة، السادس يشتمل على حوادث تاريخية جرت سنة 1295، 390 صفحة، السابع يشتمل على الحوادث والوقائع من سنة 1295 إلى 1298، 396 صفحة طبعت كلها بمطبعة الجوائب من سنة 1288 إلى 1298". وهذا الكتاب "اعتنى بجمعه مدير الجوائب على سبعة أجزاء"[3].

- **الجوائب:**

لقد كانت الصحافة من الأمور الكمالية في الحياة لأنها تنشر مقالات ومواضيع مختلفة المجالات، وتصدر للعامة والخاصة، ولا تكتفي الصحافة بنشر المقالات فقط بل تتعدى أخبار اجتماعية وسياسية واقتصادية وغيرها، وحتى الإعلانات حول أمور مختلفة.

ولكن ليست كل الصحف تنال إقبالا كما نالت "الجوائب"، فلم ترتبط جريدة كما ارتبط الشدياق بها.

---

[1] "دراسات في اللغة والمعاجم"، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت، 1998م، ط 1، ص 402.

[2] "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، يوسف إليان سركيس، ص 1106 – 1107.

[3] "اللفيف من كل معنى طريف"، أحمد فارس الشدياق، ص 213.

حارب الشدياق كل الصعوبات والعقبات لإبقاء جريدته ومطبعته، حيث كان يكتب وحده، ويحرر ويصحح، ويزور الدوائر الرسمية، ويراسل، ويستقبل البريد، ويغلف الصحف، ويلصق الطوابع على الطرود، فقد بدل جهدا كبيرا لإنجاح جريدته[1].

امتازت الجوائب بوجهها اللغوي والأدبي حيث كان لها إشراف ورسوخ كبيران في عالم الصحافة، فقد ازدحمت بشتى المقالات اللغوية والأدبية[2]. فقد التفت إليها نخبة من الكتاب والأدباء وحتى كبار جبهات السلطة. يقول محمد التونجي في هذا الشأن: "سرعان ما اصطرعت على صفحاتها أقلام اللغويين والأدباء، فالتهبت المناظرات الأدبية، واحتدت المعارك اللغوية وكان لابد للأديب أن يعرض أفكاره بأفضل الألفاظ وأدقها. فكان أن أحيوا موات الألفاظ القديمة وهذبوا الدفين منها، وألهبوا حماس اللغويين ليسطوا على صفحات الجوائب جياد اللغة".[3]

برز الشدياق في الجوانب جانب الغيرة على لغته وأصالتها حيث جعلها تقود الصحف الأخرى لكي تشاركها في صراعاتها اللغوية، على ساحات أقلام أدباء غدوا بعد أبطالاً الحركة اللغوية الحديثة. فكانت سببا في إغناء المعاجم الحديثة المعاصرة بالألفاظ، وغدت الجوائب العين الرقيبة التي يحسب حسابها في كل ما يكتب، فلم يعد أحدهم ينشر مقالة إلا بعد تهذيب وتدقيق واعتماد[4].

فلم تكن الجوائب عادية كباقي الصحف والجرائد، لأنها كانت تحمل على عاتقها أمر دعم الأقطار العربية، ومساندة الأمم الإسلامية، وجعل اللغة العربية تواكب العصر حيث كان الشدياق يضع مصطلحات للمخترعات العلمية وينشرها في

---

[1] ينظر: "في المعجمية العربية المعاصرة"، وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، بطرس البستاني ورينجارت دورزي، ص 146.

[2] المرجع نفسه، ص 149.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 149 – 150.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 150.

مقالاته. حتى أغلقت الجوائب بعدما دامت ربع قرن من الزمان، فقد كان يكابد لاستمرارها وإبقائها في الساحة بالرغم من كل الصعوبات فقد حارب كل الأعداء لنجاحها.

يقول الشدياق:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ كَسَادِ الجَوَائِبِ وَمِنْ شَانِئٍ شَانًا لهَاَ وَمُشَاغِبِ
وَمَا الذَنْبُ لِي أَنِّي أَفَدْتُ ولمَ أَفَدْ وَمَا الذَأْمُ بِي أَنِّي أَسِفَتْ مَشَارِبِي
وَلَكِنَّهَا الأَيَّامُ تَكْوِي مَقَاصِدِي وَتَعْكِسُ آمَالِي بِهَا وَمَارِبِي
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْصَفُونِي لَنَوَّهوا بحسْنِ وَإِحْسَانٍ لهَاَ فِي المَخَاطِبِ[1]

انتشرت الجوائب بالرغم من الصعوبات في كثير من الأقطار، واحتلت مكانة الصدارة العربية، وعظم شأنها في عالم الأدب والكتابة[2].

- **غنية الطالب ومنية الراغب:**

"هو كتاب مدرسي في علم الصرف والنحو"[3]. "ألف الشدياق هذا الكتاب خلال تعطيل الجوائب في شهري رمضان وشوال من سنة 1266هـ / ديسمبر 1869م – جانفي 1970م"[4].

- **كنز اللغات:**

"هو قاموس فارسي – تركي – عربي"[5]. "طبع في بيروت"[6]. وذكره محمد عبد الغني حسن أنه طبع سنة 1876م[1].

---

[1] المرجع السابق، ص 148.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 143.

[3] "تراجم مشاهير الشرق"، جرجي زيدان، ص 105.

[4] "أحمد فارس الشدياق حياته وآراؤه واثاره"، محمد الهادي المعوي، ج 1، ص 208.

[5] المرجع نفسه، ج 1، ص 208.

[6] "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، يوسف إيان سركيس، ص 1107.

- **سند الراوي في الصرف الفرنساوي:** "للتعليم[2]"
- **الباكورة الشهية في نحو اللغة الإنجليزية:**

ذكره خير الدين الزركلي ضمن مجموعة الشدياق المطبوعة[3].

- **مقدمة الشدياق على لسان العرب:**

لم يكتف الشدياق بتأليف المصنفات والترجمة والتحقيق بل ذهب إلى التحليل، إذ قام بتحليل مقدمة لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ)، فقد أعجب الشدياق بمعجم لسان العرب إذ يقول: "هو يغني عن سائر كتب اللغة إذ هي بجملتها لم تبلغ منها ما بلغه قال الإمام محمد بن الطيب محشي القاموس وهو عجيب في نقوله وتهذيبه وتنقيحه وترتيبه إلا أنه قليل بالنسبة لغيره من المصنفات المتداولة وزاحم عصره عصر صاحب القاموس رحم الله الجميع"[4]. ويقول فيه أيضا: "هو كتاب لغة ونحو وصرف وفقه وأدب وشرح للحديث الشريف وتفسير للقرآن الكريم فصدق عليه المثل أن من الحسن لشقوة ولولا أن الله تبارك وتعالى أودع فيه سرا مخصوصا لما بقي إلى الآن"[5].

أعجب الشدياق بمعجم لسان العرب أيما إعجاب، فتح مقدمته بالبسملة والصلاة على النبي محمد صلى الله وسلم وآله وصحبه، وهذا منهج تقليدي ضروري في المعاجم اللغوية بل سائر المؤلفات الإسلامية عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ). (أخرجه

---

[1] ينظر: "أعلام العرب أحمد فارس الشدياق"، ص 197.

[2] "تاريخ آداب اللغة العربية"، جرجي زيدان، ج 4، ص 236.

[3] ينظر: "الأعلام"، ص 193.

[4] "في المعجمية العربية المعاصرة"، وقائع ندوة مئوية، أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني ورينجارت دورزي، ص 178.

[5] المرجع نفسه، ص 149.

أبو داوود والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة) أي ناقص وقليل البركة[1]. ثم بادر في ذكر خصائص اللغة العربية التي تمتاز بها عن سائر اللغات وتفضيله لها بالرغم من أنه كان متقن للغات أجنبية عديدة. فيتجلى ذلك في قوله: "فقد اتفقت آراء الأمم العرب منهم والعجم الذين مارسوا اللغات وذروا ما فيها من الفنون والحكم وأساليب التعبير عن كل معنى يجري على اللسان والقلم على أن لغة العرب أوسعها اوسعها وأخلصها وأنصعها وأشرفها وأفضلها وأصالها وأكملها ....[2]

درس الشدياق مقدمة اللسان وذلك يعود لإعجابه بالمعجم – أي لسان العرب – وإعجابه بابن منظور، وكذلك أشاد بفضل من عمل على إخراج اللسان وطبعه وتحقيقه لأنه كتاب فيه عدة جوانب هامة للغة العربية وفيه كذلك جانب ثراء المادة اللغوية، إضافة إلى البعد الديني، فالشدياق في تحليله للمقدمة قرر أن اللغة العربية أشرف اللغة، وقرر كذلك أن أعظم كتاب ألف في مفرداتها كتاب لسان العرب للإمام المتقن جمال الدين محمد بن جلال الدين الأنصاري نزيل مصر ويعرف بابن مكرم وابن منظور[3]. هكذا عرفه الشدياق في مقدمته على اللسان.

نستنتج مما سبق في مقدمته هذه اعتمد على المقارنة وغيرها من اللغات، وبين لسان العرب وغيره من المعاجم وخاصة معجم القاموس المحيط للفيروز آبادي وكل هذا كان غرضه الوحيد الذي ذكره في مقدمة الجاسوس على القاموس،

[1] ينظر المرجع نفسه، ص 157.

[2] المرجع السابق، ص 177. (نص مقدمة الشدياق على اللسان)

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 160 – 161.

دعوته إلى المعجم الميسر للطلاب. يقول: "يكون سهل الترتيب واضح التعاريف شاملا للألفاظ التي استعملها الكتاب وكل من اشتهر بالتأليف ..."[1].

- **المؤلفات المخطوطة:**

- **التقنيع في علم البديع:**

ذكره خير الدين الزركلي من مجموعة المخطوطات الموجودة برقم 4099 في مكتبة شستربيتي دبلن – إيرلندا.[2] ولكن قد يكون طبع فيما بعد لأن الزركلي أحصى مؤلفات الشدياق منذ زمن.

- **المرآة في عكس التوراة:**

"يقع في أكثر من سبعمائة صفحة، ويروي يوسف أسعد داغر أن الشدياق أوصى ابنه سليما بأن لا يطبع هذا الكتاب إلا بعد وفاته، ولكن لم يطبع"[3].

وصف هذا الكتاب بأنه: "غريب المثل بديع الشكل لم يسبقه أحد في فروعه أصوله، وقد صنفه في السنين الأخيرة، إلا أن الشروع فيه كان منذ ثلاثين سنة"[4].

- **النفائس في إنشاء أحمد فارس:**

قيل عن هذا الكتاب أنه ذكر في عدة مصادر ولم تفد بشيء عن محتواه.[5] وذكره محمد عبد الغني حسن ضمن مجموعة الشدياق المخطوطة.

---

[1] المرجع نفسه، ص 03.

[2] ينظر: "الأعلام"، ج1، ص 193.

[3] "اعلام العرب أحمد فارس الشدياق"، محمد عبد الغني حسن، ص 198.

[4] "أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة الحديثة "، محمد الهادي المطوي، ج1، ص 221.

[5] ينظر المرجع نفسه، ج1، ص 218.

- **تراجم مشاهير العصر:**

ذكره حرجي زيدان أنه من مؤلفات الشدياق التي لم تطبع.[1] وهناك مصادر أخرى ذكرت هذا المخطوط باسم أعيان العصر، منها دائرة المعارف للبستاني التي قالت عنه: "اطلعنا في الأستانة على شيء منه ولا تعلم ما فعلت به يد الزمان"[2].

وللشدياق مخطوطات كثيرة أحصاها محمد الهادي المطوي بالتفصيل منها:

- **الذر اللجي في غلط المطران التتونجي.**[3]
- **المسائل المفخمة في العقائد المبهمة.**
- **اعتراضات الإنجيل.**
- **الروض الناضر في أبيات ونواذر.**
- **سر الليال في القلب والإبدال الجزء الثاني بقي مخطوطة.**[4]
- **منتهى العجب في خصائص لغة العرب:** هذا الكتاب هو عبارة عن دراسة للحروف وفيه دراسة

مفصلة عن خصائصها وصفاتها ومعانيها.[5] "لكن كتاب منتهى العجب لم يطبع ومازال مخطوطة مفقودة"[6] وقال بعض الباحثين أمثال أنيس المقدسي: "كتاب ضخم منتهى العجب قد احترق وهو لايزال مخطوطا ولم يتح لنا الاطلاع عليه".[7]

---

[1] ينظر: "تراجم مشاهير الشرق"، ج2، ص 106.

[2] "أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه" محمد الهادي المطوي، ج 1، ص 221.

[3] المرجع السابق، ص 221.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 219.

[5] ينظر: "اتجاهات البحث العوفي الحديث في العالم العربي"، رياض مؤسسة توفل، بيروت – لبنان، ط1، 1982، ج1، ص 60.

[6] المرجع نفسه، ص 60.

[7] "الفنون الأدبية وأعلامها"، ص 170.

وقال حرجي زيدان: "هو من المؤلفات التي لم تطبع، يدخل في عدة مجلدات عن خصائص حروف الهجاء ذهب فريسة النار"[1].

ويقول محمد الهادي المطوي: "أصاب منزل الشدياق سنة 1873 وها هو يصف لنا كتابه وأقسامه فيقول: من جملة الأشياء التي فقدتها يوم احترقت داري في الثاني والعشرين من أيلول كتاب كنت شرعت في تأليفه منذ خمس وعشرين فكنت كلما خطر ببالي شيء أقيده فيه وكنت سمينه منتهى العجب في خصائص لغة العرب وقسمته إلى خمسة أقسام[2]".

القسم الأول: في تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات في ذكر خصائصها ومزاياها.

القسم الثاني: في الخطابة بين لغتنا ولغات الإفرنج بالنظر إلى الصرف والنحو،

القسم الثالث: في المطابقة بين لغتنا ولغاتهم بالنظر إلى المعاني والبيان.

القسم الرابع: في ذكر المحسنات البديعية.

القسم الخامس: في السجع والشعر وما يتعلق بهما[3].

ويقول كذلك محمد عبد الغني حسن في هذا الكتاب: "أنه من بواعث الأسف أن هذا الكتاب القيم التهمه الحريق الذي أصاب قصر المترجم له.[4]

- **المعني لكل معنى:**

"هو ديوان في الشعر صدر بمقدمة طويلة في الشعر – لعلها أول مقدمة بكتبها شاعر عربي لديوانه – تحدث فيها عن عيوب الشعراء المعاصرين، ورد

---

[1] "تاريخ آداب اللغة العربية"، ج4، ص 105.

[2] "أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية"، ج 1، ص 222.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص 223.

[4] "أعلام العرب أحمد فارس الشدياق"، ص 198.

هذه العيوب إلى ضالة حظه من اللغة، يلزمهم اللجوء إلى الضرورات، والضرورات في نظره هي سبب فساد في الشعر"[1].

فالشدياق في "مؤلفاته الأدبية يمثل حركة التحديد القائمة على تحرير الكتابة من رقبة التقليد.

فعباراته سهلة لا تعمل فيها، مع تنزهها عن الركاكة والضعف[2]".

- **المؤلفات المنسوبة إليه:**

اختلف الباحثون الذين ترجموا للشدياق حول كتب نسبت إليه:

- **خبرية أسعد الشدياق الذي اضطهد لأجل إقراره للحق:**

"طبع هذا الكتيب في 52 صفحة بمالطة سنة 1833م، غافلا من اسم مؤلفه وكان الشدياق وقتها يقيم بمصر بعد عودته من مالطة سنة 1828م"[3]. وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة بذكر هذا الكتاب ضمن قائمة الكتب المطبوعة للشدياق.[4] في حين يرجع بعض الباحثين "ليس لفارس وليس لأسعد، إذ يغلب عليه ضعف الأسلوب الذي اشتهرت به مطبوعات المرسلين وكتاباته، ولذلك لا يصح نسبته إلى أسعد فضلا عن فارس"[5].

---

[1] "نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث"، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط 2، 1985م، ص 24.

[2] "الفنون الأدبية وأعلامها"، أنيس المقدسي، ص 166.

[3] "أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة الحديثة"، محمد الهادي المطوي، ج 1، ص 22.

[4] ينظر: يوسف إليان سركيس، ص 110.

[5] "أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراء في النهضة الحديثة"، محمد الهادي المطوي، ج 1، ص 227.

فقيل إن مؤلف هذا الكتاب هو"المرسل الأمريكي إسحاق برد. وبرد هذا هو الذي تتلمذ لأسعد وتجادل معه في أمور الدين كما كان السبب في تحوله عن المذهب الماروني"[1].

- **نطق السيط بالدرر واليواقيت:**

يذكر محمد الهادي المطوي أن هذا الكتاب نسب إلى الشدياق يقول: "وصف هذا الكتاب بأنه مقامة تنسب إلى الشدياق في مدح الأمير بشير الثاني ومنه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس"[2].

- **حكاية من النوبة:**

"ذكر هذا المخطوط كرنكولهنري بيرس[3] وقد زعم أنه اشتراه مما عرض بلندرة من آثار الشدياق"[4] ولم يذكر الباحثون شيئا عن هذا المخطوط ليس للشدياق لأن كل الباحثين الذين تناولوا ترجمة أحمد فارس الشدياق ومؤلفاته لم يذكروه، ولم تشير أي دراسة إلى هذا الكتاب بأنه للشدياق.

وطبع الشدياق أيضا كتب في مطبعة جوائبه كانت نادرة الوجود ونشرها بين المتكلمين بالعربية وسهل تناولها نذكر على سبيل المثال:

أعجب العجب في شرح لامية العرب: للعلامة محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري.

الموازنة بين أبي تمام والبحتري: للعلامة الآمدي.

البلغة في أصول اللغة

---

[1] المرجع نفسه، ج 1، ص 227.

[2] المرجع نفسه، ج 1، ص 228.

[3] مستشرق فرنسي له كتاب النهضة الأدبية في المشرق

[4] المرجع نفسه، ج 1، ص 228.

بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات: لأحمد المقدمي.[1]

كل ما يمكن أن يقال حول آثار أحمد فارس الشدياق أنه واجه من خلالها تهمة تخلف العربية عن مواكبة الحضارة الحديثة، لأن كتبه تنوعت مواضعها بين علمية وعملية، أما علميا ففي الدراسات المعجمية وغير المعجمية التي وضعها ونادى فيها بتطوير اللغة العربية، وأما عمليا ففي وضعه لكثير من الألفاظ الجديدة التي اتصلت بتنمية المعجم العربي وتطوره. فهي مؤلفات تظهر "سعة معارفه ومضاء عزيمته في إحياء اللغة العربية وتعمقه في أسرارها. فلم يفتر عن معاناة العلوم والمطالعة والترجمة والتأليف حتى ضعف بصره، وأثقلت الشيخوخة كاهله"[2].

البيئة العائلية وحياته العلمية

1. البيئة العائلية

تربى أحمد فارس الشدياق في بيئة عائلية ذات علم وثقافة وجاه، بالرغم من الأحوال والاضطرابات التي كانت تعم لبنان آنذاك، وفي التاريخ نجد أن مثل هذا الجو يثير أصحاب العقول الراجحة والأمزجة الرقيقة ويفتق أذان العباقرة والفلاسفة ورواد الفكر[3]. حيث كان والد الشدياق واسمه أبو حسين يوسف بن منصور، مستقيما، كريما، عاقلا، شجاعا، كثير المطالعة وهذه الصفات أخذها الشدياق من والده[4].

عاش الشدياق في بيئة لا يحسد عليها بالرغم من انتمائه لأعرق الأسر وأشهرها علما وأدباء "فقد كان أبو الفارياق أخذا في أمور ضيقة المصادر، غير مأمونة العواقب والمصاير، لما فيها من إلقاء البغضة بين الرؤوس، وشغب أهل

---

[1] ينظر: "اللفيف في كل معنى طريف"، أحمد فارس الشدياق، ص 214 – 217.

[2] "اتجاهات البحث المعوي في العالم العربي"، رياض قاسم، ج 1، ص 301.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 59.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 47.

البلاد ما بين رئيس ومرؤوس، فقد كان ذا ضلع مع حزب من مشايخ الدروز مشهور بالنجدة والبسالة والكرم. غير أنهم كانوا صفر الأيدي والأكياس والصندوق والصوان والهميان والبيوت، ولا يخفى أن الدنيا لما كان شكلها كرويا كانت لا تميل إلى أحد إلا استمالها بالمدور مثلها وهو الدينار"[1].

إلا أن أباه خلع الأمير الذي كان وقتئذ واليا وتمرد على الأمير بشير الشهابي وهذا التمرد أدى إلى هروب الوالد وترك فارس وأمه يواجهان صعوبة الحياة بعدما شن عليهما الأمير الشهابي هجوما نكب فيه بيتهم انتقاما لتمرد الوالد. فعاش فارس الشدياق يتيم الأب منذ ذلك الحين، فلم يرى فارس أباه الذي مات مريضا في الثامنة والخمسين من العمر بداء عضال[2].

مقت الشدياق الحياة في لبنان الذي تفشى فيه الظلم والتعصب الطائفي، فقد خلع أخوه أسعد الذي عرف بذكائه وفطنته مذهب والديه وتمذهب بالمذهب الإنجيلي، فلقي أخوه عذابا شديدا لما فعله، فغضب على أسعد البطريك ومازال يتهدده ويسومه العذاب ألوانا حق يرجع عن رأيه، فلم يرده إلا تمسكا وإصرارا إلى أن آل موته بدير قنوبين في عنفوان شبابه شر موته، ولا يزال أهل سورية ولبنان يتحدثون بقصته إلى هذه اللحظة[3]. فكانت لهذه القصة أثر كبير في حياة فارس الشدياق.

---

[1] "الساق على الساق فيما هو الفارياق "، أحمد فارس الشدياق، ص 96.

[2] يُنظر: "مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل "، أحمد فارس الشدياق، تحقيق محمد أحمد كمايرة، دار وائل للنشر، عمان – الأردن، 2003، ص 03.

[3] ينظر "تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر"، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، القاهرة – مصر، 2012، ج 2، ص 95.

فتوالت المصائب على الشدياق بداية بموت أبيه وثانيا بموت أخيه، وبالرغم من كل تلك المصائب أصبح من أكبر رواد اللغة والعلم، فلم توقفه بيئته العائلية أمام السعي وراء العلم بل كانت له نورا وبداية الطلاق.

2. الحياة العلمية

تعلم الشدياق في مدرسة عين ورقة المارونية في مدينة بيروت اللبنانية، بعدما انتقل والده إلى قرية الحدث سنة 1809م فأرسله والده إلى المدرسة، فتعلم على يد شيخ القرية[1].

كان الشدياق منذ نعومة أظافره عبقريا كثير الأسئلة حيث يقول محمد الهادي المطوي: "كان يربك المعلم بالأسئلة حيث كانت هذه الأخيرة من أهم بروزه وتكوينه لغويا، ذلك أنه لبث على هذه الحالة مدة طويلة فاستفاد منها ما أمكن لمثله أن يستفيد من تجويد الخط وحفظ بعض الألفاظ"[2]. وتعلم بعد ذلك في مصر الأدب والنحو والمنطق[3].

إن فارس الشدياق لم يكن خريج ثانويات أو جامعات ولم ينل شهادات عليا، بل تعلم على يد معلم كتاب القرية، "واقتصر برنامج دراسته على كتاب ركيك التركيب غامضا المعاني ومحضور عليه فهمه"[4].

وكان لتعلمه عدة عوامل جعلت منه الشخصية التي يتحدث عنها التاريخ بكل إكبار وافتخار. وهذا شأن العلماء الذين لم يتلقوا تعليما عاليا، بل تعلموا من

---

[1] "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، يوسف إيان سركيس، مطبعة سركيس، مصر، 1346هـ، ص 1104.

[2] " أحمد فارس الشدياق – حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة "، ج 1، ص 62.

[3] يُنظر: "حركة النقد الحديث المعاصر في الشعر العربي"، إبراهيم الحاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص 13.

[4] "الساق على الساق فيما هو الفارياق"، أحمد فارس الشدياق، ص 63.

شيوخهم ومن كتبهم، فلم تكن غايتهم الشهرة ونيل الشهادات بل كانت غايتهم الوحيدة العلم وحب اللغة العربية والدفاع عنها.

فمن بين أهم العوامل التي أفاد منها الشدياق فائدة كبيرة، وهو منذ ولادته أبصر على الكتب التي وفرتها مكتبة والده مما جعلته يطالع كل الفنون، فتعلم بنفسه دون جامعات. فأباه اشتهر بالعلم لذلك أحرز كتبا عديدة في فنون مختلفة[1].

المبحث الثاني: احمد فارس الشدياق بين الثقافتين الغربية والعربية

تقسم مصادر ثقافة الشدياق إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

أولا: ثقافته التعليمية في لبنان

تأثرت ثقافة الشدياق بالأزمات الاقتصادية والسياسية التي لحقت به منذ الصغر، فكرم والده منعه من السفر إلى البيئات الثقافية التي كان يتشوق إلى التعلم فيها، يقول في كتابه: "وكان والده من ذوي الوجاهة والنباهة والصلاح، إلا أن دينهما كان أوسع من دنياهما، وصيتهما أكبر من كيسهما، وكان لطبل ذكرهما دوي يسمع من بعيد، ولزوابع شأنهما عجاج ثناء يثور في الجبال والبيد، ولتكرير العفاة عليهما، واعتشاء الوفود لديهما، تعطلت سبل دخلهما ... فلذلك لم يعد في طاقتهما أن يبعثاه إلى الكوفة أو البصرة، ليتعلم العربية، وإنما جعلاه عند معلم كتاب القرية التي سكنا فيها"[2]. وقد كان العامل الديني في عصره من أكبر العوامل المتحكمة في نظام التعليم. فالمعلمون من رجال الدين الذين اتصفوا بالجهل، وضيق الأفق، وقلة المعرفة، وسطحية الثقافة. كما أن الكتاب الذي يدرسونه هو الزبور[3].

---

[1] يُنظر: المرجع نفسو، ص 41.

[2] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 83.

[3] انظر: المصدر السابق، ص 84.

وقد كان لمهنة النساخة دور مهم في ثقافته، فقد أفاد منها تجويد الخط، وحفظ بعض الألفاظ[1]، والاطلاع على كتب كانت أكبر من سنه وعقله[2]، غير أنه لم يكن مقتنعاً بها، فقال: "غير أن الفارياق لم يكن قرير العين بهذه الحرفة، إذ كان يعتقد أن الرزق الذي يأتي من شق كشق القلم لا يكون إلا ضيقاً"[3].

ثانيا: ثقافته في مصر

قدم الشدياق إلى مصر في عهد محمد علي عام 1826، ليعلم في مدارس المرسلين من الأمريكان اللغة العربية، وقواعدها، ومواد أخرى، وقد لعب دورا مهما في النهضة الأدبية الحديثة، إذ سبق الأدباء بالهجرة إلى مصر التي كانت قد تكتفت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حيث توافرت في مصر مجموعة من العوامل السياسية، والاقتصادية، والدينية التي أعانت وهيأت الأجواء لقدوم الأدباء إليها[4].

وفي تلك الفترة التقى الشدياق بالشيخ محمد شهاب الدين محرر الوقائع المصرية، فلازمه، وقرأ عليه مجموعة من كتب اللغة والأدب وشروحها، وتعرف أيضاً إلى الأديب نصر الله الطرابلسي الحلبي، كما أفاد الشدياق كثيراً من توجيهات رفاعة الطهطاوي الذي أخذه معه محرراً في الوقائع المصرية[5]، لذا فجهد علماء مصر واضح في تكوين عقلية الشدياق الثقافية والعلمية، وازدياد حصيلته من المعرفة اللغوية والأدبية.

---

[1] انظر: المصدر السابق، ص 86.

[2] انظر: حسن، محمد عبد الغني: أحمد فارس الشدياق، ص 32.

[3] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 86.

[4] انظر: حسنين، أحمد طاهر، دور الشاميين المهاجرين إلى مصر في النهضة الأدبية الحديثة، ص 20.

[5] انظر: زيدان، جورجى: تراجم مشاهير الشرق، 103/2.

وقد نحا الشدياق في مطالعاته منحى لغويا، يقول حنا الفاخوري: "كان الشدياق من علماء اللغة في عهده، لا بل كان من ألمعهم شهرة، ومن أشدهم تأثيراً على تطور اللغة[1]. كما وقف على الكتب العربية القديمة، فقرأ "لابن حجاج، وابن أبي عتيق، وابن صريع الدلاء، ومؤلف كتاب ألف ليلة وليلة[2]. وقد ألف كتابه بكل ما فيه من أشعار وأخبار وإشارات في الأدب العربي، وما عنده من الكتب العربية سوى قاموس الفيروز أبادي[3]. كما وصف علماء مصر وأخلاقهم، فقال: "أما علماؤها فإن مدحهم قد انتشر في الآفاق، وفات فخر من سواهم وفاق، وبهم من لين الجانب، ورقة الطبع، وخفض الجناح، وبشاشة الوجه ما لا يمكن المبالغة في إطرائه"[4].

وقد رأى محمد أحمد خلف الله أن البيئة الثقافية المصرية شجعت الناشئين من الأدباء، وأخذت بأيديهم حتى وصلوا إلى مرتبة الممتازين[5]، إلا أن الشدياق خشي قول الشعر في بيئتهم خوفاً من إحصاء أدباءها عليه بعض الأخطاء، فتنكسر نفسه، وينصرف عن قول الشعر[6].

ثالثا: ثقافته في أوروبا

تميزت العناصر الثقافية التي تأثر بها الشدياق في هذه المرحلة، باعتمادها على الأعمال التي انتقل من أجلها من مصر إلى مالطة – إذ أقام فيها أربع عشرة سنة – وهي: التدريس في مدارس المرسلين الأمريكان، وتصحيح ما طبع في

---

[1] الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 62.

[2] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 585.

[3] انظر: المصدر السابق، ص 81.

[4] الشِّدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 247.

[5] انظر: خلف الله، محمد أحمد: أحمد فارس الشِّدياق وآراؤه اللغوية والأدبية، ص 81.

[6] انظر: الشِّدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 264.

المطبعة من الكتب المترجمة أو المؤلفة[1]، يقول جورجي زيدان: "لا يكاد يوجد كتاب مطبوع في مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه"[2].

وقد اطلع الشدياق على الثقافة الغربية وألوانها المختلفة وأنواعها المتباينة، وتحدث عن أثرها في كل مكان، فقال: "إن لكل إنسان عندهم ممن لا يعد من الأغنياء والفقراء خزانة كتب نفيسة في كل فن وعلم، وما من بيت إلا فيه إضبارة من صحف ... وإن أكثر فلاحيهم يقرأون، ويكتبون، ويطالعون الوقائع اليومية، ويعرفون الحقوق الرابطة بين المالك والمملوك ...[3] كما أكد على أهمية اقتناء الكتب، والاطلاع على آداب الأقوام الأخرى، فقال: "ليت شعري أليس وجود مئة كتاب بدارك في الأقل خيراً من وجود كذا وكذا أركيلة؟ ... مع أن ثمن المائة كتاب لا يوازي ثمن ثلاث قطع من الكهرباء أو ليس اطلاعك على التاريخ والجغرافية وأدب الناس زينة لك بين إخوانك ومعارفك تفوق زينة الجواهر؟[4]

وقد دعا الشدياق أيضاً إلى التعمق في الثقافة الغربية قائلاً: "فلم تشتري من الإفرنج الخز والمتاع ولا تشتري منهم العلم والحكمة والآداب؟[5] كما نصح المسافرين من أبناء قومه أن يتعلموا لغات غيرهم، وأن يتوجهوا إلى المراكز التعليمية والثقافية، وأن يكتبوا ما شاهدوه وينشروه بين الناس في بلادهم حتى يستفيدوا منه، وأن يقوموا بإنشاء المطابع[6].

وقد وصف بعض كتاب سيرة الشدياق مرحلته الأوروبية، وخاصة المرحلة الباريسية بأنها مرحلة لهو ومجون، والأرجح أنها كانت مرحلة حرية وإبداع. فقد

---

[1] انظر: خلف الله، محمد أحمد، أحمد فارس الشِّدياق وآراؤه اللغوية، ص 83 – 84.

[2] زيدان، جورجي: تراجم مشاهير الشرق، 104/2

[3] الشِّدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 527.

[4] الشِّدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 523، وانظر: ص 525.

[5] المصدر السابق، ص 524.

[6] انظر: المصدر السابق، ص 522.

أنتج فيها مؤلفاته (الساق على الساق)، و(سر الليال في القلب والإبدال)، و(الجاسوس على القاموس)، و(منتهى العجب في خصائص لغة العرب)[1].

أما المرحلة الأخيرة من مراحل ثقافته، فتمثلت بانتقاله من أوروبا إلى الأستانة، فقرأ الكثير من الكتب القيمة، والمخطوطات النادرة من التراث الإسلامي، والثقافة العربية التي وجدت في مكتبات الأستانة، وقد لخص كمال اليازجي مراحل ثقافته وأثرها على شخصيته قائلاً: "ثم سنح له السفر إلى أوروبا، حيث تعرف إلى مدنية جديدة تقوم في كثير من مظاهرها على الحرية والنظام والمنطق، فكان له من ذلك حب الاستقصاء، والميل إلى التنظيم، والجرأة في إعلان الرأي، وتيسر له في مصر وأوروبا والأستانة الاطلاع على كثير من المخطوطات العربية القديمة والكتب الإفرنجية المفيدة، فاتسعت ثقافته، وتنوعت عناصرها[2].

وقد شكلت الثقافة الغربية عنصراً مهماً في شخصية الشدياق الأدبية، وساعده على ذلك إتقانه اللغتين الفرنسية والإنجليزية، فقال: "فإني طالما هممت بأن أتعلم اللغة الفرنساوية، لما أني أرى في كتب الإنجليز جملاً وعبارات منها ما يحرض على تعلمها[3]. وأيضاً قضاؤه مدة طويلة متنقلاً في أوروبا زائراً خلالها المكتبات والجامعات، مطلعاً على نماذج أدبية وتاريخية في هاتين اللغتين. وقد عرض الشدياق في سياق الدفاع عن أخيه أسعد مؤلفات فرنسية كثيرة تندد بالبابوات، وتفضح تاريخهم[4]، وذلك من خلال حديثه عن حرية الرأي عند الغربيين مقارنة لما حدث في لبنان في تلك الفترة.

---

[1] انظر: طرابلسي، فواز، والعظمة، عزيز: سلسلة الأعمال المجهولة أحمد فارس الشدياق، ص 21.

[2] اليازجي، كمال: رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث (1800-1900)، ط1، مكتبة رأس بيروت، بيروت، لبنان، ص 103-104.

[3] الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 214.

[4] انظر: الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 189-193.

والشدياق يورد في كتابه أسماء لأدباء تأثر بهم مثل: (لامرتين) الفرنسي[1] الذي التقى به شخصياً في فرنسا[2]، و(شاتوبريان)[3]، و(بايرون) الشاعر الإنجليزي[4]، إذ يعد هؤلاء من أقطاب الأدب الرومنطيقي في أوروبا الذي قوي في القرن التاسع عشر. كما تأثر بكتاب ماجنين.

---

[1] لامرتين (1790–1869): شاعر رومنطيقي معروف برحلته إلى الشرق (1832. 1833)، كان من أبرز قادة رموز الثورة، فقد أعلن قيام الجمهورية أمام مبنى البلدية عام 1848، وشغل منصب وزير خارجية الحكومة. انظر: طرابلسي، فواز، والعظمة، عزيز، ص20، وانظر: شلبي، عبد العاطي: فنون الأدب الحديث بين الأدب الغربي والأدب العربي، ط 1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005، ص 12.

[2] انظر: الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 101.

[3] انظر: المصدر السابق، ص 102، وانظر: عكاوي، رحاب: الفارياق، ط1، دار الفكر العربي، بيروت،2003، ص 108.

- شاتوبريان (1768–1848): كاتب فرنسي ولد في سان مالو، وتوفي في باريس، اندمج في الحياة العسكرية حتى الثورة الفرنسية عام 1789، سافر إلى أمريكا عام 1791، ثم عاد ليقوم بخدمة الحكم الملكي في فرنسا، هاجر إلى إنجلترا عام 1793، وعاش فيها حياة صعبة، سافر إلى الشرق، وقد لعب دوراً هاماً في عودة الملكية إلى فرنسا بعد حكم بونابرت، ومن أهم أعماله: (نشوء المسيحية)، و (الشهداء)، كما كتب سيرة حياته وأهم أحداث عصره في (مذكرات ما بعد القبر). انظر: شريل، موريس حنا: موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب، جروس برس، طرابلس لبنان، 1996، ص 268–269.

[4] انظر: الشدياق، أحمد فارس: المناق على الساق، ص 468.

- بايرون (1788–1824): ولد في مدينة لندن، وورث لقب لورد عن عمه لأبيه، وهو في العاشرة من عمره، وقد نشر عام 1807 ديوانه الأول (ساعات الفراغ). قام برحلة زار خلالها كل بلدان أوروبا، ثم عاد ومعه نشيدان من ملحمته نشيد هارولد) التي نشرها عام 1812، كما وضع عدداً من المسرحيات، زار اليونان عام 1823، ونظم الشعر ضد الأتراك.

  توفي في ميسولونجي عام 1824، انظر: شريل، موريس حنا: موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب، ص 80.

والشدياق من الأدباء الذين تنوعت ثقافتهم الفنية، فاهتم بالغناء والموسيقا والمسرح، يقول في كتابه (كشف المخبأ عن فنون أوروبا): "في المدن كثير من الملاهي والملاعب، ومن العازفين بآلات الطرب"[1]، وقد تطورت ثقافته في جانبيها الموسيقي والغنائي عند انتقاله من الشرق إلى الغرب، فرجال الدين في لبنان ينظرون إلى الموسيقا نظرة سلبية، بينما في الغرب ينظرون إليها نظرة إيجابية، يقول: "إن وجود الطنابير في الجبل عزيز جدا ... فإن صنعة الألحان، والعزف بالملاهي يسم صاحبها يالشين، لما في ذلك من التطريب والتصبي والتشويق ... لذلك لا يشاؤون أن يتعلموا الغناء والعزف بإحدى آلات الطرب، أو يستعملوا في معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخ الإفرنج، خشية أن يقضي بهم ذلك إلى الإلحاد ولكن لو أنهم سمعوا ما يتغنى به في كنائس مشايخهم ... أو ما يعزف من الأورغن التي ولع الناس بها في الملاعب والمراقص لما رأوا في الطنبور إثما"[2]. كما تحدث عن موقفه من الموسيقا المصرية، وموقفه من الغناء في كل من: مصر، وتونس[3].

يبدو أن الموسيقا لها أثر في حياة الشدياق العاطفية، وطريقه إلى الحب أثناء إقامته بمصر، فقد تحدث عن الفتاة التي كانت تسمعه وهو في دار الخرجيين، فقال: "كانت إذا سمعت الفارياق يغني أو يعزف في غرفته ... صبت إليها نفسه، ونزغه فيها نازغ الهوى"[4]. وقد تعرف الشدياق أيضاً على جانب آخر من الفن وهو الرقص، إذ قالت الفارياقية لزوجها عندما دعيا إلى حفلة رقص في

---

[1] الشِّدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 105، وانظر: ص 50-56، ص 116.

[2] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 98، وانظر: ص 266.

[3] انظر: المصدر السابق، ص 247 – 248.

[4] المصدر السابق، ص 391.

بيت حاكم مالطة الإنجليزي: هل هؤلاء النساء أزواج هؤلاء؟ قال: منهن هكذا، ومنهن بخلاف ذلك. قالت: وكيف يخاصرونهن إذا؟ ... رجال مع نساء راقصون راقصات، راقصون راقصون راقصات[1] .

وقد اهتم الشدياق أيضاً بتعليم المرأة القراءة والكتابة، فقال: "فعندي أنه محمدة بشرط استعماله على شروطه، وهو مطالعة الكتب التي تهذب الأخلاق وتحسن الإملاء، فإن المرأة إذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكايد، واختراع الحيل[2].

كما انتقد اقتصار قومه على تعلم علم النحو، فأهل بلاده لا يتعلمون سواه، ومن تمكن عندهم منه، فقد تمكن من معرفة خصائص الموجودات كلها[3]. فالشدياق لم يترك جانباً، من جوانب الحياة الثقافية لأي فئة من فئات المجتمع الذي عاش فيه إلا وتحدث عنه بإسهاب.

يتضح مما سبق أن هناك مصدرين رئيسيين أسهما في التكوين الثقافي للشدياق الذي يعد رائداً من رواد النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر أولهما: الاهتمام بالتراث العربي القديم، وثانيهما الاهتمام بالثقافة الجديدة القادمة من أوروبا، يقول عبد الرحمن ياغي: " كان اطلاعه وإطلالته من نافذة على الثقافة الأوروبية تكاد تتساوى مع تمكنه من منابع الثقافة العربية التقليدية[4].

---

[1] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 455 – 456.

[2] المصدر السابق، ص 126.

[3] انظر: المصدر السابق، ص 129، وانظر: الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال اوروبا، ص 170.

[4] ياغي، عبد الرحمن: مقدمة في دراسة الأدب العربي الحديث، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان، 1976، ص 18.

ويعد الشدياق من الأدباء الذين أعجبوا بقوة أوروبا ورقيها، إلا أنه لم يكن من دعاة الحضارة الغربية[1]. يقول فواز طرابلسي وعزيز العظمة: إن الشدياق "يتميز دون سائر الرحالة والنهضويين بمنظوره المتوازن إلى الغرب، ذلك الذي يرفض كل نوع من أنواع التنميط، فيقيم علاقات ومقارنات وحوارات بين الشرق والغرب، ويحكم ملكة النقد في الاثنين معاً، فيستظهر السلبيات والإيجابيات في كليهما"[2].

وأخيراً فثقافة الشدياق العميقة والواسعة بمراحلها المختلفة، جعلته محط أنظار الناس جميعاً، يقول جورجي زيدان: "وقد خاطبه الملوك والأمراء، والعظماء في سائر أقطار العالم، ووجدوا بين أوراقه بعد وفاته مئات من الكتب واردة عليه من عظماء العالم، وقد نال التفات الشاهاني بنوع خاص، فأنعم عليه بالرتب والنياشين، ونال مثل ذلك أيضاً من الدول الأخرى، وما زال على التأليف والتحرير إلى أواخر أيامه"[3].

[1] انظر: حوراني، إلبرت: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 78.

[2] طرابلسي، فواز، والعظمة، عزيز: سلسلة الأعمال المجهولة أحمد فارس الشدياق، ص 37.

[3] زيدان، جورجي: تراجم مشاهير الشرق، 108/2.

الفصل الرابع: الاجناس الأدبية في كتاب الساق على الساق للشدياق

الفصل الرابع: الاجناس الأدبية في كتاب الساق على الساق للشدياق

المبحث الأول

4. ادب الرحلة في كتاب الساق على الساق
5. أدبية رحلات الشدياق ومكوناتها البنائية التجنيسية
6. متن رحلات الشدياق

المبحث الثاني

4. خصائص ادب الرحلة واسلوبها في الكتاب
5. قصة ادب الرحلة في كتابه

الشدياق وتأثره بالرحالة العرب

الفصل الرابع: الاجناس الأدبية القديمة في كتاب الساق على الساق

المبحث الأول:

1. أدب الرحلة في كتاب (الساق على الساق)

- **أدب الرحلة**

الرحلة لغة كما جاء في لسان العرب من رحل يرحل رحلاً ورحيلاً وترحالاً الانتقال. وارتحل القوم انتقلوا، والراحلة البعير القوي على الأسفار والأحمال[1]. والرحلة الجهة التي يقصدها المسافر[2].

ويعرف أدب الرحلة اصطلاحاً بأنه "ذلك النثر الأدبي الذي اتخذ من الرحلة موضوعاً، أو الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري مميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة"[3]. فهي منابع ثرية بمختلف مظاهر الحياة، ومفاهيم أهلها على مر العصور[4]. فأدب الرحلة إذن هو الأدب الذي يصور فيه الكاتب الرحالة ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلته لأحد البلدان.

وقد عرف العرب أدب الرحلة منذ القدم، إذ دون كثير من رحاليهم أخبار سفرهم وتنقلهم، فذكروا المدن التي نزلوا فيها، والمسافات التي اجتازوها، والصعوبات التي تغلبوا عليها، ووصفوا البلاد ومزروعاتها، وسجلوا مشاهداتهم عن صناعاتها وتجارتها، ووصفوا حياة سكانها.

---

[1] انظر: ابن منظور، لسان العرب (مادة رحل).

[2] انظر: أحمد، أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون دار البيان العربي، جدة، (د. ت)، ص 7.

[3] النساج، سيد حامد: مشوار كتب الرحلة، مكتبة غريب، الفجالة، (د. ت)، ص 5.

[4] انظر: محمد، أسماء أبو بكر: ابن بطوطة، الرجل والرحلة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992، ص 11، انظر: وهبة، مجدي، والمهندس، كامل: المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 17.

وقد أجمع الدارسون على أن الدوافع الدينية والتجارية والعلمية والترفيهية، كانت وراء اهتمام العرب أو غيرهم بالرحلة في القديم. كما وجدت الرحلة أيضاً من أجل الكشوف الجغرافية، والاستعمار بالنسبة لغير المسلمين[1]. وأيضاً الرحلة التكليفية[2].

وقد أخذ أدب الرحلة بالظهور والنمو والانتعاش في القرن التاسع عشر، إذ فتحت أوروبا أبوابها على البلاد العربية في عصر النهضة الحديثة، وراح الكثيرون من أبنائها يرحلون إليها طلباً للعلم أو العمل أو السياحة وغير ذلك، يقول الشدياق: "إن أسعد الناس حالاً رجل رزقه الله مالاً، وأصلح له بالاً، فجعل دأبه السفر في البلاد الغربية، والمشاهدة للكائنات العجيبة، فهو في كل يوم في شأن، وله في كل معان[3] أوطان وإخوان[4]. وقد ازدهر أدب الرحلة، وتطور في الموضوع والرؤية والهدف منه، واللغة التي يكتب بها، والشكل الفني الذي يقدم من خلاله؛ لذا حرص عدد كبير من الكتاب المعاصرين على تدوين رحلاتهم ومشاهداتهم في كتب مستقلة لها طابعها الخاص[5]. ومن أبرز الأدباء الرحالة في تلك الفترة: شهاب الدين الألوسي (ت.1854)، ورفاعة الطهطاوي (ت. 1873)، وأحمد فارس

---

[1] انظر: زيادة، نقولا: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1962، ص 148، وانظر: الشهابي، مصطفى: الجغرافيون العرب، دار المعارف، مصر، 1962، ص 23–25، وانظر: أحمد، أحمد رمضان: الرحلة والرحالة المسلمون، ص 10–14، وانظر: ضيف، شوقي: الرحلات، ط 3، دار المعارف، مصر، 1979، ص 08 –10.

[2] الرحلة التكليفية: هي الرحلة التي يكلف فيها الحاكم أحداً من كتابه بمهمة رسمية يجوب فيها الآفاق، ويدون فيها مشاهداته، وما وصل إليه، ومن الأمثلة على ذلك رحلة سلام الترجمان الذي أمره الخليفة الواثق (890) بالذهاب إلى جبال القوقاز؛ للبحث عن سد الصين الكبير، انظر: النساج، سيد حامد: مشوار كتب الرحلة، ص 12.

[3] معان: مكان. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (معن).

[4] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 120.

[5] انظر: النساج، سيد حامد: مشوار كتب الرحلة، ص 13.

الشدياق (ت.1887)، وعبد الله فكري (ت.1890)، وسليمان البستاني (ت.1925).

بناء على ما تقدم، فقد تهيأت الفرصة أمام الرحالة الشدياق، وتوفرت أسباب سفره إلى جزيرة، مالطة، وإلى فرنسا وبريطانيا، حيث أقام في مالطة أربعة عشر عاماً، وقضى في باريس ولندن أكثر من تسع سنوات، فوضع رحلته الأولى في كتاب سماه (الواسطة في معرفة أحوال مالطة)، ورحلته الثانية في كتاب سماه (كشف المخبأ عن فنون أوروبا)، وقد دون بعض أخبار رحلته الأولى في كتابه (الساق على الساق).

لقد ورث الشدياق الولوع بالسفر من أفراد أسرته، إذ كانت تتنقل من مكان لآخر، يقول محمد عبد الغني حسن: " كان بيت الشدياق لا يقر على قرار في لبنان نفسه، فقد انتقلوا من بشرى إلى قضاء كسروان حيث ولد فارس الشدياق في عشقوت، إلى الحدث في بيروت[1]. وكان مولعاً بالسفر منذ الصغر، فقال: "هذا وقد كنت في عنفوان شبابي، وجدة جلبابي، وأزهار سني، وازدهار ذهني لهجاً بالسفر والاغتراب والترحل عن الوطن والأصحاب إلى بلد ينضر فيه غرسي، وتطيب فيه نفسي، وأقتبس فيه من مصابيح العلم قبساً"[2]. فكان أقصى مراده "أن يرى منزلاً غير منزله وناساً غير ناسه"[3].

والشدياق من الرحالة الذين أدت الرحلة إلى استنفار كل استعداداته الفطرية، وحسه الجغرافي والتاريخي والاجتماعي، وهو يمارس هوايته في الأسفار[4]. وقد

---

[1] حسن، محمد عبد الغني: أحمد فارس الشدياق، ص 49.

[2] الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون أوروبا، ص 3.

[3] الشدياق، أحمد فارس: المناق على الساق، ص 107.

[4] انظر: الشامي، صلاح الدين، عين الجغرافية المبصرة في الدراسة الميدانية، دار المعارف، الإسكندرية، (د. ت)، ص 122.

وصفه مارون عبود بأنه "أخو سفر، جواب أرض"[1]، وأنه أيضاً "الصقر ينظر إلى قوادمه وخوافيه، فرأى جناحاً تام الريش، فحلّق في جو طموحه، فإذا به في مالطة يكتب ويعلم ويصحح، ويطير طيرة أخرى، فإذا به في لندرة، ثم طار إلى باريس، ومنها إلى تونس حيث استقر حيناً، ولما تألق نجمه طمعت به الأستانة، وهناك استقر فوق روابي اسطنبول. جثم النسر على أعلى قمم مجده، محدقاً إلى العالم بعين حادة. اختبر الدنيا في تجواله، وكان معلماً ومتعلماً في حله وترحاله"[2].

2. أدبية رحلات الشدياق ومكوناتها البنائية التجنيسية

تعد أغراض الرحلة القصدية من المحددات الأدبية الرئيسة في رحلات الشدياق، وتشمل قصدية الرحلة التي تقتضي الذهاب والإياب، وقصدية الكتابة التي تقتضي سرد الرحلة، وإلا أصبح كل مرتحل رحالة[3]، يقول: "فأما إذا قصدت السفر لمجرد التفاخر فقط بأن تقول مثلاً في مجلس زارك فيه أصحابك الكرماء إذ لا فائدة فيه لأحد الناس"[4]. ويقول أيضاً: "وإذا رجعت بحمد الله إلى بلدك، فاجتهد في أن تؤلف رحلة تشهرها بين أهل بلادك؛ لينتفعوا بها"[5]. وتعد هيمنة بنية السفر من محددات رحلات الشدياق أيضاً، إذ سمحت بإيجاد خصائص نوعية لأدبية الرحلة وصفاً، وسرداً، واستطراداً، وحذفاً، ومقارنة"[6]. ومن أمثلته قوله: "... وهو ثلاثة أشهر في كل سنة عزم على أن يسافر إلى تونس"[7]. وأيضاً قوله: "وفي

---

[1] عبود، مارون: أحمد فارس الشدياق صفر لبنان، ص 197.

[2] المرجع السابق: ص 173.

[3] انظر: عبود، مارون: أحمد فارس الشدياق صفر لبنان، ص 12.

[4] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 525-526.

[5] المصدر السابق، ص 522.

[6] مؤدن، عبد الرحيم: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر مستويات المترد، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2006، ص 12 – 13.

[7] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 498.

خلال ذلك سافر إلى الإسكندرية لمصلحة ما"[1]. كما أن عدداً من فصول كتابه شكلت كلمة السفر جزءاً من العنوان، كالفصل الخامس من الكتاب الثالث بعنوان في سفر وتصحيح غلط اشتهر[2].

وقد ارتبطت أغراض الرحلة الخاصة (القصدية المباشرة)، بالهدف من سفر الشدياق إلى المكان الذي ارتحل إليه، كرحلته إلى مالطة عام 1834 التي جاءت بناء على دعوة الأمريكان له، للتعليم في مدارسهم، وتصحيح ما يصدر من مطبعتهم من كتب عربية، إذ كان مقيماً في تلك الفترة في مصر، وخلال إقامته في مالطة عرف الحياة فيها عن قرب، فوصف طبيعتها الجغرافية[3]، ومعالمها التاريخية[4]، وتحدث عن عادات أهلها وأخلاقهم ولغاتهم. فتكلم بالتفصيل عن ذلك في فصل في عادات المالطيين وأحوالهم وأخلاقهم وأطوارهم[5].

أما الرحلة الثانية التي قام بها في عام 1848[6]، فجاءت بناء على دعوة جمعية ترجمة الأسفار المقدسة إلى إنجلترا؛ ليقوم بترجمة التوراة إلى العربية تحت إشراف المستشرق الدكتور (صموئيل لي)[7]. وقد حرص الشدياق على تأليف رحلته إلى إنجلترا، فقال: "وما أظن أحداً من سكانها يمكنه أن يعمل فكره في شيء إلا فيما هو بين يديه من الشغل، وهذا هو المورد الوخيم قدر الله لي أن أألف هذا

---

[1] المصدر السابق، ص 365.

[2] انظر: المصدر السابق، ص 425 – 434.

[3] انظر: الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن فنون أوروبا، ص 12.

[4] انظر: المصدر السابق، ص 8.

[5] انظر: المصدر السابق، ص 31 – 44.

[6] انظر: الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن فنون أوروبا، ص 67.

[7] انظر: الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 497.

الكتاب لا في مروج إيطاليا النضيرة، ولا رياض الشام الأنيقة، فأخال أن بين كل كلمتين منه دخاناً متصاعداً، وظلاماً متكاتفاً"[1].

وقد حث الشدياق على السفر قائلاً: "فأما أنت يا سيدي الغني، فالأولى لك أن تسافر من مدينتك العامرة، حتى ترى بعينك ما لم تره في بلدك، وتسمع بأذنك، وتخبر أحوال غير قومك وعاداتهم وأطوارهم، وتدري أخلاقهم ومذاهبهم وسياستهم"[2]. وقد أشار إلى الأخبار التي سمعها عن إنجلترا قبل سفره إليها، فوجدها عند قدومه إليها تختلف عما وصفه الناس، فقال: "هذا الفارياق حين نوى السفر من الجزيرة إلى بلاد الإنجليز كان بعض الناس يقول له: إنك سائر إلى بلاد لا تطلع عليها الشمس! وبعضهم يقول: إلى أرض لا ينبت فيها القمح والبقول، ولا يوجد فيها من المأكول إلا اللحم والقلقاس! وبعضهم يقول: إني أخاف عليك أن تفقد فيها رئتك لعدم الهواء ... فلما سار إليها وجد الشمس شمساً، والهواء هواء، والماء ماء، والرجال رجالاً، والنساء نساء ... فلو أنه سمع لأولئك الناس لفاته رؤية ذلك أجمع"[3].

وقد بين محمد عبد الغني حسن أن رحلات الشدياق قد زودته بالعلم والمعرفة، وأحيت بالعمل ما مثله الكتاب بالنظر، ولا شيء مثل التجربة في الحياة، والمعاينة فيها بالعين المجردة[4]. وأكد ذلك شفيق البقاعي، فقال: "ومن خلال حله وترحاله بين القارات الثلاث آسيا وإفريقيا ثم أوروبا، أكسبته الحياة تجاربها، والآداب التي اطلع عليها زودته بالفنون الجديدة"[5]. فتزويد الشدياق بالعلم والمعرفة،

---

[1] الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 360.

[2] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 521.

[3] المصدر السابق، ص 525.

[4] انظر: حسن، محمد عبد الغني: أحمد فارس الشدياق، ص 50.

[5] البقاعي، شفيق: أدب عصر النهضة، ص 187.

واكتساب الخبرات والتجارب، كانت من أهم أغراض الرحلة العامة، وغير المباشرة التي تعددت عنده في كتابه.

أما المكان فهو من المكونات المركزية سواء أكان حقيقياً أم متخيلاً في الإبداع الفني عامة، والرحلة خاصة[1]. وقد ظهر عند الشدياق ازدواجية فيه، فأوروبا هي المكان الذي تحدث عنه دائماً، فذكر مدنها وقراها مثل: مالطة، وباريس، ولندن، وفصل في وصف سكانها وعاداتهم وغير ذلك من أمور حياتهم كما أشرت سابقاً[2]، ووطنه الذي ارتحل إليه وجدانياً باستمرار، فظل يذكره أينما حل واستقر، حتى ولو ذهب إلى كل الأمكنة. فالرحالة الشدياق كباقي الرحالة استطاع عبر الإحساس ألا يتوقف طوال رحلاته عن المقارنة، والتذكر، والمزاوجة بين الماضي والحاضر، فحنينه إلى وطنه الدائم لم يغادره أبداً مستخدماً وسائط لغوية ووصفية وبلاغية شعراً ونثرا[3].

وثمة مكون آخر لأدبية رحلة الشدياق، وهو الزمن المرتبط بزمن الأحداث المتتابعة ذهاباً وإياباً في رحلاته، إذ تخلل هذا الزمن زمن الرحالة الشدياق الخاص الذي انسجم مع زمن الرحلة وأحداثها، فقال: "... بأني أصف له باريس عند استقراري فيها أتم وصف دون إسهاب ولا حذف، فإني جعلت هذه الرحلة مرتبة على الأوقات"[4].

---

[1] انظر: مؤدن، عبد الرحيم: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر مستويات المترد، ص 41.

[2] انظر: الرسالة، ص 135.

[3] انظر: مؤدن، عبد الرحيم: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر مستويات المترد، ص 45.

[4] الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 215.

كما أن الوصف والسرد[1] يمثلان ساقي رحلات الشدياق في كتابه، وهما مكونان أساسيان متلازمان[2]. فالرحلة تعد فنا بصرياً يهدف إلى تقديم الموصوف في مختلف مظاهره[3]، والوصف وسيلة الرحالة يستعملها في أثناء تنقلاته في المكان[4]. أما السرد، فهو المكون الرئيسي الثاني في بنية رحلات الشدياق بعد المكون الوصفي.

3. متن رحلات الشدياق

يشكل متن رحلات الشدياق في كتابه المكون الأساسي في بناء رحلاته، فقد عرف الشدياق الحياة في بلاد الغرب، إذ أخذ يقارن بين العادات في الشرق والعادات في الغرب، فقال: "انظر العادة هنا كيف جعلت حلق الشعر علامة الفضل والكمال، وعندنا هو سمة النقص والفساد"[5]، وقال أيضاً: "ألا ترى أن نساء السودان يحببن رجالهن أبلغ من حب النساء لبعولتهن في بلادنا وغيرها؟[6]".

وقد أتاحت الفترة الطويلة التي عاشها الشدياق في لندن وباريس، ونال فيها الجنسية البريطانية فرصة الاطلاع والوقوف على دقائق الحياة الأسرية، والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الأجنبي.[7] وقد اندمج الشدياق في هذا المجتمع كونه

---

[1] السرد أو القص: هو الحديث أو الإخبار لواقعة حقيقية أو خيالية أو أكثر، من قبل واحد، أو اثنين، أو أكثر من الساردين، وذلك لواحد أو اثنين، أو أكثر من المسرود لهم. انظر: المناصرة، عز الدين: علم التناص المقارن، ص 63، وانظر: زيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 105.

[2] انظر: مؤدن، عبد الرحيم: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر مستويات السرد، ص 69.

[3] انظر: المرجع السابق، ص 69.

[4] انظر: المرجع السابق، ص 69 – 73.

[5] الشدياق، احمد فارس: الساق على الساق، ص 438.

[6] المصدر السابق، ص 440.

[7] انظر: محمود، حسني: ادب الرحلة عند العرب، رحلات امين الريحاني نموذجا، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، 1995، ص 52.

مازال مسيحياً في تلك الفترة، لذا فقد صور الحياة بكل تفصيلاتها. إلا أنه عندما وصف باريس وأحوالها جاء وصفه مختصراً، فرفاعة الطهطاوي سبقه إلى وصفها بشكل مطول في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، فقال: "وقد حان الآن أن أشرع في وصف باريس وأهلها، ولكن لما كان العالم الأديب رفاعة بك الطهطاوي قد ألف كتابه النفيس المسمى (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، وسبقني إلى هذا المعنى كان لا بد لي هنا من أن أستأذنه في ذكر ما أضرب عنه بالكلية أو أشار إليه فقط "[1].

وكان الشدياق مولعاً بالمفاضلة وبالمقارنة في البلاد التي زارها كباريس ولندن في وغيرهما، إذ فضل الحياة في باريس على الحياة في لندن، كما استخدم نمطاً الحكم يقوم على التصنيف والموازنة في مفاضلته بين الإنجليز والفرنسيين عموماً، على غرار ما قاله الآمدي في موازنته بين أبي تمام والبحتري، يقول: "يحق لي أن أقول في الإنجليز والفرنسيس ما قاله الآمدي في أبي تمام والبحتري، وهو أن الجيد من الإنجليز خير من الجيد من الفرنسيس، والرديء من هؤلاء خير من الرديء من أولئك. ومآل الكلام أن عامة الفرنسيس أفضل، وأن خاصة الإنجليز أجل وأمثل"[2].

وتحدث الرحالة الشدياق عن الفقر والغنى في إنجلترا، فقال: "فلما قدمنا بلادهم وعاشرناهم إذا فلاحوهم أشقى خلق الله ... وليست عيشة المتمولين في الريف بأنعم من عيشة الفلاحين[3]. وقد عني الشدياق بالمرأة، وأعجب بأناقة المرأة الفرنسية وجمالها[4] وبعض صفاتها الأخلاقية كلطفها وبشاشتها كما أشار بصراحة

[1] الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 222.

[2] المصدر السابق، ص 274 – 275، وانظر: ص 249.

[3] الشدياق، أحمد فارس: الساق على المناق، ص 591، وانظر: ص 594.

[4] انظر: المصدر السابق، ص 626.

إلى الأدب المكشوف، فقال: "ولكن كيف يكون إحساس المرأة حين يلمسها رجل جميل في خصرها" ؟

المبحث الثاني:

1. خصائص ادب الرحلة واسلوبها في كتابه

يتصف أسلوب الشدياق من خلال العرض السابق لرحلاته في كتابه بالاستطراد في سرد أخبار رحلاته، فهو مسهب في الموضوعات التي ذكرها، إذ أشبعها بحثاً وهذا يدل على سعة ثقافته وتنوعها كالفصل السادس من الكتاب الرابع بعنوان في محاورة[1]، وأيضاً الفصل الثاني من الكتاب الثاني بعنوان في سلام وكلام[2].

وقد عرض الشدياق أدق التفصيلات التي أحسن جمعها في شيء من الترابط والتنسيق، كوصفه لطرق باريس قائلا: "انظر إلى طرقها، وإلى ما يجري فيها من الدم والنجاسة، ومن المياه المتنوعة الألوان، فمن بين أخضر كماء الطحلب، وأصفر كماء الكركم، وأسود كماء الفحم، ويتلاحق بها جميع أقذار المطابخ والمرافق ... وانظر إلى مبلط هذه الطرق ... فإذا أتت عليه سنون زاد تباعداً وتخلخلا"[3].

وقارن الشدياق في رحلاته وأقام موازناته بين المدن التي ارتحل إليها، فقابل محاسن باريس بمحاسن لندن[4]وقارن بين بيوت لندن وبيوت باريس، فقال: "تصور في عقلك أنك ساكن في حارة من حارات لندرة ذات صفين متوازيين متصاقبين

---

[1] انظر: المصدر السابق، ص 553 – 558.

[2] انظر: المصدر السابق، ص 214 – 223.

[3] المصدر السابق، ص 633 – 634.

[4] انظر: المصدر السابق، ص 640.

متناوحين. في كل صف عشرون داراً. ولكل دار باب، ولكل باب عتبة. وأمام كل عتبة درج[1]. أما بيوت باريس فوصفها بـ "علو طبقاتها، وكثرة درجها، ووسخها، وفساد ترتيب مرافقها، ومراحيضها ... فإن كثيراً من مساكنها لا يصلح للسكنى لخلوه من النور والهواء"[2]. كما قارن بين زي النساء في الجزيرة، وبين نساء الشرق، فقال: "فأما النساء فاختلاف زيهن عن سائر نساء البلاد المشرقية والإفرنجية"[3]. وقارن أيضاً بين المرأة الإنجليزية والمرأة الفرنسية[4].

واعتمد الشدياق في رحلاته على النقد الموضوعي، إذ أبدى كثيراً من محاسن الإفرنج، فوصفهم بإنجاز الوعد، وصدق الوفاء في الحضرة والغيبة، وتوفية أجر من يعمل لهم، فهم قليلو الكلام كثيرو الفعل، كما مدح حسن تعاطيهم للأمور وغير ذلك[5]، وذكر أيضاً مساوئ أهل لندن، فهم الذين انشأوا دوراً للزني، فقال: "... أن زمرة من أعيانها كانوا قد أنشأوا ماخورا[6] جمعوا فيه عدة زواني"[7]. وقال أيضاً في أهل باريس: "فإن مودتهم يقطينية أي تنبت سريعاً كاليقطين ولا تلبث أن تذوي، ومواعيدهم عرقوبية طالما أوعدوا فأخلفوا ..."[8].

كما تميز أسلوب الشدياق ببث روح الفكاهة في رحلاته، قال أحمد أبو سعد: "إن الذي تتميز به رحلة أحمد فارس الشدياق عن سواها من الرحلات التي ألفت

---

[1] المصدر السابق، ص 616.

[2] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 634 – 635

[3] المصدر السابق، ص 230

[4] انظر: المصدر السابق، ص 626، وانظر: ص 630–632

[5] انظر: المصدر السابق، ص 589.

[6] الماخور: هو مجلس الريبة، ومجمع أهل الفسق والفساد، وبيوت الخمارين، ابن منظور: لسان العرب، مادة (مخر).

[7] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 585.

[8] المصدر السابق، ص 643.

يومذاك، هو أنها مشبعة بروح صاحبها العبثية، ومجونه، ودقة ملاحظته، ونقده، وأوصافه، ودرسه الأخلاق الناس درساً يتصف بالعمق والنفاذ"[1]. ويظهر ذلك في الحوار الذي دار بين الخرجي والفارياقية عندما أبلغها خبر السفر على ظهر سفينة من النار، فقال: "فسمعت بذكر سفينة النار، فقالت: ما معنى هذا؟ فقال لها الخرجي: هي سفينة ذات ألواح ودسر[2]، وإنما تسير بقوة بخار النار. قالت: وأين النار؟ قال: في قمين بها. قالت: يا للداهية كيف أسافر في سفينة فيها قمين، وأعرض نفسي للنار؟ ... قالت: أما أنا فلا أسافر، ويسافر من يريد أن يحترق"[3].

وقد عد حسني محمود الشدياق "على غرار ابن خلدون الذي كان سابقاً عليه بأربعة قرون، مثلاً على نمط الكتاب الذين اعتمدوا الترسل في كتاباتهم إلى حد بعيد، فقد كان علماً من أعلام النهضة الأدبية الحديثة، فكان كارها للتكلف اللفظي، والصناعة البيانية، إذ رأى في محسناتها وزخارفها ضياعاً للمعاني، وقتلا لقوة الابتكار لدى الأديب"[4]. لذا فقد كان في كتابيه (الواسطة في معرفة أحوال مالطة) و (كشف المخبأ) بعيداً عن السجع والمحسنات التي وظفها في كتابه (الساق على الساق).

ولعل أبرز ما ميز أسلوب الشدياق في رحلاته استخدام الحكاية والقص، فقد حض رئيس المعبر الناس على التعري، فقال: "فلما كان ذات يوم من الأيام المشؤومة ذهب الفارياق إلى المعبر... فوجد الرئيس قد تعرى ...[5]، وبالرغم من تمتع الشدياق بالخيال الواسع الذي ظهر في قوله: "بينما كان رأسه ورجلاه في

---

[1] أبو سعد، أحمد: أدب الرحلات، ط 1، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، 1961، ص 231.

[2] دسر: خيوط من ليف يشد بها ألواح السفينة، وقيل مساميرها. مفردها(دسار)، وتجمع على نشر ودستر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (دسر).

[3] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 427.

[4] محمود، حسني: أدب الرحلة عند العرب، رحلات أمين الريحاني نموذجا، ص 59.

[5] الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق، ص 493.

البيت كان فكره يصعد في الجبال، ويرتقي التلال، ويتسور الجدران، ويتسلم القصور، ويهبط الأودية والغيران، ويرتطم في الأوحال، ويخوض البحار، ويجوب القفار"[1]، إلا أنه في أدب الرحلة عنده قليل " فهذا اللون من الكتابة يعتمد في الأساس على الواقع"[2].

كما اعتمد الشدياق على النقل الصادق، والوصف الدقيق، والتصوير الأمين، كباقي الرحالة الذين وصفهم سيد حامد بأن موضوعات كتبهم تتسع، فتشمل التاريخ والجغرافيا والدين الاجتماع والسياسة[3]. كما استند إلى الصورة الفنية المكونة من عناصر مشهدية[4] في بناء رحلاته، كالفصل السابع عشر من الكتاب الرابع بعنوان في وصف باريس.

2. قيمة أدب الرحلة في كتابه

تعد رحلة الشدياق إلى البلاد الأوروبية على غرار رحلة الطهطاوي التي قام بها في القرن التاسع عشر، إذ وضحت مناحي الحياة المختلفة في البلاد الأوروبية في الوقت الذي فتحت فيه أوروبا أبوابها على البلاد العربية، وخاصة في أعقاب حملة نابليون على مصر، يقول حسني محمود: " كانت رحلتا الطهطاوي والشدياق إلى البلاد الأوروبية في القرن التاسع عشر نموذجين للانفتاح على بلاد أجنبية، والتعرف على حياتها ومظاهر التقدم فيها؛ بهدف الإفادة من ذلك التقدم، ونقل (عدواه) إلى البلاد العربية"[5]. وقد حث الشدياق معاصريه من العرب على السفر

---

[1] المصدر السابق، ص 107.

[2] النساج، سيد حامد: مشوار كتب الرحلة، ص 7.

[3] انظر: النساج، سيد حامد: مشوار كتب الرحلة، ص 9.

[4] المشهد: هو أسلوب العرض الذي تلجأ إليه الرواية أو المسرحية في تقديم الشخصيات من خلال الحوار المباشر. انظر: زيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 154.

[5] محمود، حسني: أدب الرحلة عند العرب، رحلات أمين الريحاني نموذجا، ص 61.

إلى أوروبا لتدوين مشاهداتهم في كتب تفيد الشرق، فقال: وكيف تبلغ من عمرك ثلاثين سنة، ولم تؤلف شيئاً يفيد أهل بلادك، وينتفعوا به من دون قصد التكسب بالبيع[1].

والواضح أن خبرات رحلات الشدياق وفوائدها لا تعود إليه فحسب، بل تعود إلى قومه، فتعينهم على التقدم، وكثيراً ما كان يحزن عند رؤية أوروبا متقدمة وبلاده متأخرة، وأشار إلى ذلك في الصفحات الأولى من كتاب رحلتيه إلى مالطة وأوروبا قائلاً: "ويعلم الله أني مع كثرة ما شاهدت تلك البلاد من الغرائب، وأدركت فيها من الرغائب، كنت أبداً منغص العيش مكدره ... لما أني كنت دائم التفكر في خلو بلادنا عما عندهم من التمدن والبراعة والتفنن"[2].

فالشدياق نظر إلى الحضارة الغربية بعيون شرقية كونها موروثه التاريخي والحضاري والفكري والديني، ومن هنا نشأ الصراع الفكري والحضاري[3] الذي ظهر بوضوح في أدب الرحالة الشدياق عندما ذهب إلى بلاد الغرب، وكشف عن الفوارق بين الحضارتين العربية والغربية، فجاءت رحلاته بمجموعها سجلاً حقيقياً لمظاهر الحياة المختلفة التي شاهدها، أو سمعها في الأماكن التي ارتحل إليها. ولرحلات الشدياق قيمة علمية وتعليمية كبيرة، إذ قدمت الكثير من المعارف التاريخية[4]، والجغرافية[5]، والاقتصادية[6]، والظواهر الاجتماعية[7].

---

[1] انظر: المصدر السابق، ص 522.

[2] الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 4.

[3] انظر: بارد، نازك سابا: الرحالون العرب والحضارة الغربية، ص 27.

[4] انظر: الشدياق، أحمد فارس: المناق على الساق، ص 468 – 469، وانظر: ص 631.

[5] انظر: المصدر السابق، ص 121، وانظر: ص 490.

[6] انظر: المصدر السابق، ص 636، وانظر: ص 643.

[7] انظر: المصدر السابق، ص 630.

وقد دون الشدياق معارف رحلاته السابقة جراء اتصاله المباشر بالناس وبالحياة، وأيضاً من خلال تلخيص بعض المعلومات التاريخية من كتب التاريخ، فقد ذكر في كتاب (كشف المخبأ) دور فرنسا في الحرب الصليبية في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي[1]، وأيضاً تحديد تاريخ بعض الاختراعات والصناعات كالتلغراف[2].

أما القيمة الأدبية لرحلاته فظهرت من خلال التنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف، إذ لا يكاد فصل من الفصول يخلو من ذلك، كالفصل الخامس من الكتاب الثاني بعنوان في وصف مصر، ويعد السرد المشوق من أبرز ميزات أسلوب الكتابة القصصي عند الشدياق بما قدمه من متعة ذهنية لقارئه.

3. الشدياق وتأثره بالرحالة العرب

تأثر الشدياق كما بينت سابقاً[3] بالرحالة رفاعة الطهطاوي الذي عاش في القرن التاسع عشر، فالطهطاوي كان أكثر نجاحاً من الشدياق في اختيار ما أراد تعريف الآخرين به عن حياة الفرنسيين، وأكثر منهجية في ترتيب أفكاره وضبطها، إذ أن كثيراً من إحصائيات الشدياق لا ضرورة لها، وخاصة ما جاء في كتابيه (الواسطة في معرفة أحوال مالطة) و (كشف المخبأ عن فنون أوروبا)[4]. ويعود ذلك إلى الأسباب الكامنة والمباشرة التي دفعت كل منهما إلى القيام بالرحلة، إضافة إلى كون الطهطاوي مسلماً، فثقافته مشبعة بالروح الإسلامية، والعلوم

---

[1] انظر: الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 259.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص 210.

[3] انظر: الرسالة، ص 143.

[4] انظر: محمود، حسني: أدب الرحلة عند العرب، رحلات أمين الريحاني نموذجا، ص 60.

التقليدية[1]. أما الشدياق فقد تأثر بالمرسلين الذين عمل معهم، وعاش في بيئاتهم الأجنبية وهو ما زال نصرانياً، فتغلغل في أعماق هذه المجتمعات، ومن هنا جاءت تفصيلاته حتى في الحياة البيتية، إذ كان همه جمع المعلومات وتقديمها لقارئيه، وأهل قومه دون دراستها[2]. إلا أنهما اتفقا في تصوير الحياتين الشرقية والغربية، ولكن الشدياق اختلف عنه في الهدف، فرفاعة اهتم في (تخليص الإبريز) بالقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية، كما أن الذات في كتابه كانت غائبة، لأنه عالج الأمور بموضوعية. أما الشدياق في كتابه فكان مشغولاً بنفسه وبمشكلاته وآرائه ونظراته وأحكامه الشخصية، وبما قرأه أو شاهده أو سمعه[3]. واهتم الشدياق أيضاً سمعه بتسجيل ملاحظاته عن أسفاره إلى البلاد التي انتقل إليها وعاش فيها، فحصل على معلوماته وخبرته من خلال التجربة والممارسة، وليس عن طريق المشاهدة والتأمل كرفاعة الطهطاوي.

وقد وصف ميخائيل صوايا الشدياق بأنه "لم يكن من أولئك الرحالة السطحيين الذين يقفون ذاهلين أمام مشهد أخذ بلبهم، فيشغلهم الظاهر عن الباطن، والعرض عن السبر وإدراك الجوهر. كان ذا عين نافذة وثيقة الصلة بعقل مدرك محلل، عين ناقدة تأخذ بسرعة وبقوة، وتحيط بالمبصرات إحاطة عجيبة، فيأخذ في العرض والتفصيل والمقابلة والمقارنة"[4]. ويؤكد الشدياق ما وصفه به ميخائيل صوايا، فيقول في كتاب (كشف المخبا): "ويحق لي أن أقول بعد الاختبار

---

[1] انظر: بارد، نازك سابا: الرحالون العرب والحضارة الغربية، ص 16.

[2] انظر: محمود، حسني: أدب الرحلة عند العرب، رحلات أمين الريحاني نموذجا، ص 60.

[3] انظر: عبد الدايم، يحيى إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ص 71 – 72.

[4] صوايا، ميخائيل: أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره، ص 83 – 84.

والتحري أن جميع ما ينبت في بلاد الإنجليز هو دون ما ينبت في فرنسا في الطبيعة والزكاء، وجميع ما ينبت في هذه (فرنسا) هو دون ما في بر الشام"[1].

وقد بين أيضاً ميخائيل أن الشدياق يشبه من الرحالة القدماء المسعودي في عدة وجوه منها: التأسيس بالجغرافية، والتاريخ، وإيراد النوادر الأدبية. ويشبه ابن بطوطة في كثرة تجواله[2]. أما المحدثون فيشبهونه بأمين الريحاني، وذلك لأن كلا منهما ينفعل بما يرى، ويتحدث بجرأة وصراحة[3]. وقد وصفه مارون عبود في رحلاته بأنه ليس كغيره راوية أخبار، ومحدثا عن الغرائب والعجائب، بل كان عقلاً جباراً يناقش في كل غرض، ويبحث كل مطلب مبدياً رأيه غير وجل[4]، لذا جاءت رحلاته ممتعة ومثقفة بما ضمنها من تجاربه وخواطره في أسفاره، وبما أودعه فيها من وصف للمدن والأرياف، ونقد للمجتمعين الغربي والشرقي[5] فالشدياق كان "رحالة طيلة عمره، وفي تيارات تأملاته وخطواته وتسجيلاته، أدبه أدب سفر لا يحط إلا ليشيل، ولا يتوقف إلا ليمضي في آفاقه"[6].

تلك صورة أدب الرحلة عند الشدياق في كتابه الساق، فهو جنس أدبي قائم بذاته، وقد جنسه أحمد حسنين ضمن أدب الرحلات[7]. وقد وصف حنا الفاخوري حياة الشدياق بأنها سلسلة من الرحلات زار خلالها فضلاً عن لبنان، مصر ومالطة وإنجلترا وتونس وفرنسا والقسطنطينية، وكان في زياراته المختلفة عيناً ترى

---

[1] الشدياق، أحمد فارس: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن أحوال أوروبا، ص 80.

[2] انظر: صوايا، ميخائيل: أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره، ص 83.

[3] انظر: المرجع السابق، ص 85 – 86.

[4] انظر: عبود، مارون: أحمد فارس الشدياق صفر لبنان، ص 174.

[5] انظر: خوري، رئيف: نصوص التعريف في الأدب العربي عصر الإحياء والنهضة، ط1، بيروت، لبنان،1957، ص 315 – 316.

[6] شلق، علي: النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث، ص 96.

[7] انظر: حسنين، أحمد طاهر: دور الشاميين المهاجرين إلى مصر، ص 226.

وترقب، وأذناً تسمع وتعي، وعقلاً يفكر ويحلل، وقد دون أخبار تلك الرحلات في كتبه الثلاثة[1]. إلا أني لا أوافق حسني محمود رأيه في كتابه (أدب الرحلة عند العرب)، أن أدب الرحلات كجنس أدبي لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن المسرحية أو القصة أو الشعر أو المقالة الأدبية، ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها، وأن يخضع لمقاييسها[2].

[1] انظر: الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الادب العربي، ص 65.

[2] انظر: محمد، أسماء أبو بكر: ابن بطوطة الرجل والرحلة، ص 14، وانظر، محمود، حسني: أدب الرحلة عند العرب، ص 11.

الخاتمة

وفي الأخير نستنتج

ان أدب الرحلة لونا من الالوان الأدبية الذي ينقل فيه الرحالة العناصر الثقافية والاجتماعية المختلفة من خلال ما يصادفه من مظاهر وعادات وتقاليد وأساليب ومعالم أثريت لتلك المنطقة التي زارها، واصفا بذلك انطباعات افراد المجتمع، ومسجلا أساليب عيشهم، وناقلا مختلف فنونهم وصناعاته، ومعبرا عن حقائقهم ودقائقهم. فقد صار أدب الرحلة مصدرا أساسيا للموروث الثقافي والتاريخي والادبي ساهم فيه الأدباء على مر العصور وكل السنين فلم يخل العصر الحديث من الأدباء الذين ساهموا في هذا المجال برحلاتهم القيمة فمنهم أحمد فارس الشدياق الذي يعد حقا من أبرز الادباء والرحالين في العصر الحديث والذي ساهم في أدب الرحلة مساهمة فعالة، شخصية ويعد كتابه الساق على الساق من الكتب الأدبية المهمة فتناولان هذه المذكرة شخصية الشدياق وآثاره بالإيجاز، والقينا الضوء الشامل على جوانبه المتعددة عامة وعلى رحلاته الأدبية وأسفاره الأوروبية خاصة، كما حللناها تحليلا بسيطا ويتحدث عن خصائصها وأسلوبها وقيمتها الأدبية والفنية، وتعد المثاقفة أهم عامل بين الشعوب في أدب الرحلة بحيث تعبر عن عمليات التغيير او التطور الثقافين، التي تطرا حين تدخل جماعات من الناس تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين أو أكثر، وتجسد انت المنافقة في كونها قد شكلت ظاهرة إيجابية عرفتها المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل، وظلت أبلغ وسيلة للتقارب والتواصل وتبادل للمعارف والخبرات وعاملا قويا من عوامل تطور وازدهار الحضارات، فهي بالتالي ظاهرة تأثير و تأثر الثقافات اثناء تواصلها مع بعضها البعض.

قائمة المصادر والمراجع

1. القران الكريم
2. وفاء يوسف ابراهيم زيادي، الاجناس الأدبية في كتاب الساق على الساق فيما هو الفرياق لأحمد فارس الشدياق، أطروحة لنيل شهادة الماجستر، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، سنة 2009.
3. أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة، محمد الهادي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، دط، 1989، ج1-2.
4. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط17، 2007م، ج1.
5. أعلام العرب أحمد فارس الشدياق، محمد عبد الغني حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر – القاهرة، دط، دت.
6. الألفاظ المحدثة في المعاجم العربية المعاصرة، علي محمد حجي الصراف، عالم الكتب، ط1، 2009.
7. البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 2008.
8. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، دط، دت، ج4.
9. تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، القاهرة – مصر، 2011، ج2.
10. الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوالب، قسطنطينية، 1299هـ.
11. حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، إبراهيم الحاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.

12. دراسات في اللغة والمعاجم، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1998.
13. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1985.
14. الساق على الساق فيما هو الفارياق، أحمد فارس الشدياق، تعليق نسيب وهيب الخازن، دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت.
15. سر الليال في القلب والإبدال، أحمد فارس الشدياق، تحقيق محمد الهادي بن الطاهر المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006.
16. صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.
17. علم الدلالة العربي: بين النظرية والتطبيق، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.
18. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2003، مج 4.
19. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 2000.
20. في المعجمة العربية المعاصرة، وقائع ندوة مائية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينجارت دوزي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
21. كشف المخبأ عن فنون أوربا، أحمد فارس الشدياق، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، مصر، دط، دت.
22. لسان العرب، ابن منظور دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 2005، مج 10.

23. اللغة العربية معناها ومبناها، حسان تمام، دار الثقافة، المغرب، دط، 1994.
24. اللفيف في كل معنى طريف، أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط2، 1299هـ.
25. معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، مطبعة سركيس، مصر، 1346هـ - 1926م، ج2.
26. معجم المعاجم، أحمد الشرقاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1993.
27. معجم المعاجم العربية، يسرى عبد الغني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
28. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.
29. الموسوعة العربية، أليساندرو سكارلاتي - الصاحب بن عباد، مج11.
30. نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط2، 1985.
31. النقد الأدبي الحديث، حمدي الشيح، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، دط، 2010.
32. الواسطة في معرفة أحوال مالطة، أحمد فارس الشدياق، مؤسسة هنداوي، القاهرة - مصر، دط، دت.
33. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، د.نواف أبوساري، أدب الرحلات ودوره في التواصل بين الحضارات، جامعة قسنطينة، سنة 2011، ص 14-15.
34. أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، دار الشرق الجديد، ط1، كانون الأول (ديسمبر) 1961، بيروت، ص 5.

35. حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، كفايت الله همداني، أطروحة لنيل الدكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام اباد، باكستان، 2007م/2011م، ص 58.
36. رجل من العراق عاش في زمن الخليفة العباسي الواثق بالله، اشتهر بين اهل سر من رأى بإجادته التحدث بعديد من اللغات حتى سمي الترجمان.
37. هوا بو جعفر هارون بن المعتصم بويع بالخلافة عام 224هـ بعد موت أبيه وتوفي سنة 232 هـ.
38. هو ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن خرداذبة، فارسيا الأصل.
39. هو اب علي أحمد بن عمر بن سرتة أحد الجغرافيين الذين ظهروا في أوائل القرن الرابع الهجري.
40. المرجع السابق، حافظ محمد بادشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي ص 59 – 60.
41. أبوزيد أحمد بن سهل البلخى، من مواليد 235هـ، كان فقيها وعالما وسياسيا ورياضيا، لقب بالجاحظ الثاني.
42. هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، فارسي الأصل معاشاني القرن الرابع الهجري.
43. هو قدامه بن جعفر بن قدامة أبو الفرج ولد في عام 275 وتوفي سنة 337 هـ ومن أشهر كتبه نزهة القلوب، وزاد المسافر.
44. هوا بو القاسم بن حوقل ولد في أوائل القرن الرابع الهجري ورحلته تستغرق منه ثلاثين عاما من عمره.
45. هوا بو الريحان البيروني، عالم بالرياضيات والفيلسوف الجغرافي والمؤرخ العظيم، ولد في ذي الحجة 362 هـ في الخوارزم.

46. هوا ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ابن بطلان، وكان طبيبا مشهور وشاعرا وفيلسوفا من الكرخ بالعراق.
47. المرجع السابق حافظ محمد بادشاه الحجار في أدب الرحلة العربي ص 61 – 62.
48. احمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ط1، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ديسمبر 1961. ص7.
49. المرجع نفسه، أحمد أبوسعد ص 8.
50. ادب الرحلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنمونجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر جامعة أدرار، سنة 2013/2012م.
51. حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1403 ه .1984م، ص 10 – 11.
52. محمد الامين فرشوخ، موسوعة عباقرة الاسلام، ج1، دار الفكر العربي، بيروت، سنة 1996، ص140.
53. المرجع السابق احمد ابو سعد، ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي، ص 23.
54. بورقبة مريم، أدب الرحلة عند محمد الخيضر حين (الرحلة الجزائرية) انموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أدار، سنة 2012-2013م، ص24.
55. مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1979، ص 12.
56. المرجع السابق، أدب الرحلة عند محمد الحضر الحسن، مذكرة لنيل شهادة الماستر ص 25.

57. لس هوارد، أشهر الرحلات في غرب افريقيا، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1996، ص 10.
58. مكي سعد الله، هانات المثافقة بين عنف اللغة ولغة العنف، قسم الدراسات الدينية، 25 يوليو 2020، ص 3.
59. د.جمال نجيب التلاوي، المثاقفة عبد الصبور واليون .. دراست عبر حضارية، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 6-7.
60. المرجع السابق، جمال نجيب التلاوي، المثاقفة عبد الصبور واليوت، ص4.
61. سارة بوزرزور، الترجمة وفعل المثاقفة، مذكر لنيل شهادة الماجستر، جامعة وهران سنة 2009 – 2010م، ص 68.
62. سارة بوزرزور، الترجمة وفعل المثاقفة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة السانية وهران سنة 2010/2009 ص 72.
63. د.محمد خرماش، ابعاد المثاقفة في النقد الادبي المعاصر، مكناس، المغرب، سنة 2008 ينظر: Manahijnaqdia.3oloum.org – MONTADA – F4 – topic – t8 – htm
64. عزالدين المناصرة، المثاقفة والنقد المقارن، منظور اشكالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996، ص 73.
65. د. احسان هندي، المثاقفة وحوار الثقافات، يومية الثورة السياسية، مؤيية الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق – سوريا، 2009، ص 79.
66. صلاح السروي، المثاقفة وسؤال الهوية – مساهمة في نظرية الأدب المقارن،
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article195502009

67. محمد سليمان، أسئلة الهويات والمثاقفة في عصر العولمة، محمد إبراهيم الدراسات الإعلامية والثقافية، رام الله، فلسطين، ط1، 2008، ص 85 – 86.

68. خليل عماد الدين، مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، كولالمبور، مليزيا، 2001، ص 287.

69. سها شريف، الحضارة الإسلامية ومد جسور الحوار الحواري، http://bookerchmohamed.vwblog.fr 2009/08/12

70. شعيب حليفي، التدويت والوعي بالأخر، مجلة المناهل، عدد خاص ببن بطوطة، وزاره الشؤون المغربية، العدد 60، يناير 2000، ص190.

71. محمد عابر الجابري، تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1992، ص77.

72. قويدر بن احمد، خليفه دينيه للمثاقفة، .HTTP://www.alida.org/forums/showthred.php?t=1989

الفهرس

الفهرس

مقدمة: .....أ
الفصل الأول: أدب الرحلات عند العرب 1
المبحث الأول: نشأة الرحلة وتطورها 1
أدب الرحلة في القرن الثالث الهجري: 1
ادب الرحلة في القرن الرابع هجري: 3
أدب الرحلة في القرن الخامس الهجري:..... 4
أدب الرحلة في القرع السادس الهجري: 5
ادب الرحلة بالقرن السابع الهجري: 6
أدب الرحلة في القرب الثامن الهجري: 7
آدب الرحلة من القرن التاسع الى بداية النهضة العربية:..... 9
المبحث الثاني: ادب الرحلة في العالم: 9
المبحث الثالث: التعريف بأدب الرحلة عند العرب 12
الفصل الثاني: المثاقفة.....22
المبحث الأول: المثاقفة مفهوم وتعريف 22
اشكال المثاقفة:..... 25
انواع المثاقفة:..... 27
قنوات المثاقفة: 33
اليات المثاقفة:..... 35
الفصل الثالث: نبذة عن احمد فارس الشدياق.....41
المبحث الأول: احمد فارس الشدياق.....41
اسمه ونسبه ووفاته 42
رحلاته ومؤلفاته 45
البيئة العائلية وحياته العلمية..... 73
المبحث الثاني: احمد فارس الشدياق بين الثقافتين الغربية والعربية 76

أولا: ثقافته التعليمية في لبنان..... 76
ثانيا: ثقافته في مصر 77
ثالثا: ثقافته في أوروبا 78
الفصل الرابع: الاجناس الأدبية القديمة في كتاب الساق على الساق 87
المبحث الأول: 87
1. أدب الرحلة في كتاب (الساق على الساق) 87
2. أدبية رحلات الشدياق ومكوناتها البنائية التجنيسية 90
3. متن رحلات الشدياق 94
المبحث الثاني:.....96
1. خصائص ادب الرحلة واسلوبها في كتابه..... 96
2. قيمة أدب الرحلة في كتابه 99
3. الشدياق وتأثره بالرحالة العرب..... 101
الفهرس.....116

التلخيص:

تناول البحث أدب الرحلات خاصة عند الشدياق باعتباره أحد أعلام اللغة العربية ورواد المعجمية المعاصرة، وتظهر أهمية هذا البحث في المثاقفة بين الشعوب، ومن خلال كل هذا كانت لشدياق أراء من حيث رحلات التي قام بيها ومن خلال تأليفاته ومن دون تأليفاته أخذنا الساق على الساق الذي استحق البحث لأنه كان نموذجا للمذكرة.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة – المثاقفة – الساق على الساق – الشدياق – التأثير والتأثر – الرحالة.

Summary:

The research has been drawing specials in specials when the newspaper as a Arabic language flags and contemporary pharmaceuticals, and the importance of this research appears in the embroidery between the peoples, through all of which was for the decades of the circles of the psychic and his or her commentary without the release of the leg who was to go searching because it was a model of the memo.

Keywords: Trip Literature – Acculturation – Leg on the leg – chidiac – Impact and impact – Travelers.